هذيانُ رُوح

هالة أحمد

كل الحقوق محفوظة

دار لوغاريتم للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: 28841/ 2019

I.S.B.N: 978-977-6642-94-2

تصميم الغلاف: حسن العربي.

الإخراج الفني: ضياء فريد.

المراجعة اللغوية: نهال جمال.

المديـــر العـــام: إيناس ناصر.

المدير التنفيذي: شادي أبو شهبة

Logarithpublish@gmail.com

٠١٢٨١٠٥٢٨٢٤

هذيانُ رُوح

رواية

هالة أحمد

«أزهار ربيعي لن تُزهر إلا بالوصال، ووصالُها بئرٌ
عميقٌة لا نجاة منها ولا فرار، أرغبُ في الوقوع فيه..»

«منذ الوهلة الأولى علمتُ أن الدمع سيجفُّ بهواكِ، وأن النسيان لن يقترب منكِ أبدًا، أنسى النفس، أنسى الدُنيا ولا أنساكِ..»

«أراني إن اغتربتُ يومًا ما أغتربُ في عينيها، عيناها لي وطن، هي الدولةُ وأنا الحِصن، هي الوردةُ وأنا الغُصن، هي الجمال وهي الحُسن..»

البداية

«أيا حبيب الأمسِ، كيف أصبحتَ اليومَ ذِكرى؟!»

أنتِ الذكرى التي لا زلتُ أتمنى نسيانها ولكن لا أنساها، كما لو أنني في كل مرة أحاول نسيانكِ أتذكركِ أكثر.

مع كل فنجان قهوة أحتسيه، مع كل رشفةٍ منه أتذكرِك، مُرةٌ أنتِ كمُر القهوة، بل أنت منها أمرّ.

مع كل تنهيدةٍ تخرج من صدري، مع كل آهٍ، مع كل ألم أتذكركِ، أصبحتِ ذكرى وذكراكِ في العقل كالوشم لا تُزال ولا تُنسى، فبربكِ ما ظنكِ بقلبي؟أصبح الهجر كالجمر في ثنايا الروح، وكأني اعتدتُ الآلام، وكأني أصبحتُ غير قابل للسعادة، وكأن أمري كله أصبح بين يديكِ أنتِ، وكأنكِ أقسمتِ على روحي بالهذيان، وما كان مني غير الطاعةِ والقبول.

- ياسين، عملت إيه مع بابا؟ طمني.تنهدتُ بعمقٍ قائلًا:
- كالعادة زي ما أنتِ عارفة، طلب مني إني أنجز في تجهيز الشقة ولو مرتبي مش مكفي أدور على شغل جديد، بس باباكي طلباته كتير وأنا والله مش مقصّر وبحاول أعمل اللي أقدر عليه.

أجابته بحزن بالغ:

ـ أنا لو عليا أستناك العُمر كله، ولا يفرق معايا أي حاجة، بس هو بابا كإنه بيتلكك لينا، بيحاول يعمل أي حاجة عشان يبعدنا عن بعض.

ـ ودا كله ليه؟ عشان أنا فقير يعني؟

نظرت إليّ بحزن، نهضت من مقعدها وجلست أرضًا عند قدميَّ وأمسكت بيدي تبث فيَّ الطمأنينة والأمان، وقالت لي:

ـ طب وإيه يعني؟ وماله الفقر؟ هو الفقر عيب؟

ـ باباكي مش فاهم كدا، أنتِ مش فاكرة قِبل بيا إزاي؟ ووافق إزاي إننا نكتب الكتاب؟ دا ذلّني.

ـ ما تفكرش في القديم، المهم إننا مع بعض دلوقتي، المهم إن أنا مراتك دلوقتي وهستناك، سنة اتنين خمسة عشرة العُمر كله، برده هستناك.

ثم ابتسمت قائلةً:

ـ ماهو عُمري يا ليك يا بلاش، ولا إيه؟

أجبتُ عن حديثها بابتسامة، ومن سواها يُداويني؟

سيدةُ فؤادي

عزيزتي..

أتعلمين أنني كنتُ كالجسم المُعتم لا حياة فيه ولا روح؟

لا نفع منه ولا ضرر؟

جئتِ أنتِ وأنرتِ الجُزء القابع بين أضلعي

بكِ أصبحتُ كالقمر، جسمٌ معتم ويُنير

وكأنكِ شعاع الشمس الذي انعكس بداخلي.

عزيزتي.. أتعلمين أنّ لونَ السماءِ في عينيكِ صافٍ بلا غيوم؟

كُلما نظرتُ فيهما أراني كطائر فرحان

ظنّ أنّه امتلك السماء كلها بمفرده

فأصبح يحلّق فيهما كيفما شاء.

عزيزتي.. أتعلمين أن العيش معكِ حياة أخرى على الرغم من الحياة؟

والعُمر معكِ ثوانٍ

والصمتُ أمام عينيكِ أفصح اللغات

والروح فيكِ تسكن وترويها رؤيتكِ

والفؤاد فيكِ مُتيم.

عزيزتي.. أتعلمين أن العيش دونكِ موت؟

والعُمر دونكِ زهد

والكلامُ في غيابكِ ثرثرةٌ فارغة

والروح في غيابكِ ظمآنة

ولا يزال فيكِ الفؤاد مُتيمًا.

وضع عمرو يده على كَتفي وهزني بخفة قائلًا:

ـ ياسين، ياسين إصحي الفجر هيفوتنا.

استيقظتُ هاتفًا باسمها ‹‹رُوح››، وظللت ألتفتُ حولي أبحث عنها، أتساءل أين هي، أين أنا؟ أكنت أحلُم؟ مواساتها لي، ويداها المُمسكة بيدي! وفقري الذي كان في عينيها ثراء، وقلبي الذي كان بين يديها، وروحها التي سكنت بداخلي، أين كل هذا؟

ـ يادي رُوح، احنا مش هنخلص بقى؟

قالها عمرو بضيق، زفرتُ ونظرتُ إليه بنعاس قائلًا:

ـ عايز إيه يا عمرو؟ بتصحيني ليه؟

ـ بصحيك عشان ننزل نصلي الفجر، يلا روح اتوضا بسرعة، وأنا كمان هروح اتوضا.

ـ حاضر.

نهضتُ من الفراش وذهبتُ إلى المرحاض المُلحق بغرفتي لأتوضأ، وبعد أن توضأتُ نظرتُ في مرآة دورة المياه، شردتُ فيها، في حُلمي الذي رأيته منذ دقائق قليلة، شردتُ في حبي القديم، في رُوحي، رُوحي هي وكل جروحي. نظرتُ إلى ملامحي التي باتت ذابلةً بعد التورد، كزهرةٍ في بستانٍ كبير يكرهها البستاني فحَكم عليها بالذبول.

«يا بُستانيّ الحديقة، قُل لي بربّك،
أنسيت أن تسقِيَني؟ أم تدّعي نِسياني؟
أذنبي أني زهرةٌ؟ أم أنك بُستاني؟»

انتهيتُ من وضوئي وارتديتُ ملابسي، ثم ذهبتُ أنا وأخي إلى المسجد، كان دعائي في سجودي دائمًا مُذ فارقتها هو ‹›اللهم إني أحاول فدلّني، اللهم إني عليلٌ فداوني››، انتهينا من صلاتنا ثم رجعنا إلى البيت.

ـ ياسين، أنا عايزك في موضوع.

قالها عمرو، فقلتُ له:

ـ موضوع إيه؟ أتكلم.

ـ طب تعالى نقعد في الجنينة هنا نتكلم.

جلسنا معًا على طاولة في حديقة منزلنا، كان يبدو التوتر جليًّا على ملامح عمرو.

ـ خير يا عمرو فيه إيه؟

ـ بص وبصراحة كدا هو موضوع بخصوص أميرة أختك يعني، المفروض مالِك جوزها أصلًا كان يجي يقولك، بس مالِك خاف فجالي أنا.

أجبتُه بسخرية قائلًا:

ـ مالِك؟! يعني مالِك اللي هو صاحب عمري خاف يقولي على الموضوع فجالك أنت؟ ويا ترى إيه الموضوع دا بقى إن شاء الله؟

ـ بص إحنا عارفين إنك مش هتوافق، إحنا أصلًا مش موافقين، بس أميرة اللي بتزن و..

قاطعته قائلًا:

ـ يا بني ادخل في الموضوع على طول إنجز.

ـ من الآخر كدا أميرة عايزة تشتغل في شركة حاتم الصياد.

صمتت بضع لحظات ثم ظهرت الابتسامة تدريجيًّا على وجهي، أهذا ما جعل الرُعب يسكن قلوبهم من ردة فعلي فأخذوا يتناقلونه بينهم؟

ـ طب وفين المشكلة؟ أنا موافق.

ظهرت الصدمة على ملامح عمرو تدريجيًّا، ثم قال:

ـ موافق؟ يعني إيه موافق؟ دا إحنا كلنا معارضين عشانك تقوم أنت توافق؟

ـ ليه يعني فين المشكلة؟ هي عايزة تشتغل في شركة الصياد براحتها، وأنا موافق.

نهض عمرو من مقعده وارتفع صوته قليلًا قائلًا:

ـ ياسين، الشركة دي بتاعة مراة حاتم الصياد، مراة حاتم الصياد دي اللي تبقى رُوح، عارف مين رُوح ولا نسيت؟

تنهدتُ بألم وقلتُ له:

ـ لأ ما نسيتش، بس أميرة ذنبها إيه؟ أميرة ما لهاش صُحاب غير رُوح وحبيبة، وبعدين فيها إيه لو اشتغلِت معاها مش فاهم؟ موضوعي أنا ورُوح انتهى من خمس سنين يا عمرو، واللي كان بيني وبينها ما حدش له علاقة بيه، وأنا مش هخلي أميرة تبعد عن صاحبتها عشان صاحبتها دي كانت مراتي في يوم، عايزة تشتغل معاها براحتها مش عايزة برده براحتها.

نظر إليّ عمرو بغموض ثم قال:

ـ أنت تركيبة غريبة أوي، إزاي بتتعامل مع كل اللي حصل دا ببساطة؟!

ابتسمتُ له ولم أُجب.

لم يكن بسيطًا تركها لي وإجباري على تطليقها، بالطبع لم يكن بسيطًا بالمرّة، وسببُ كل هذا أني كُنت فقيرًا، كانت تخدعني باسم الحُب وفي النهاية تزوجت بغيري، أوهمتني بحُبها لي وأنها لا تهتم لفقري، لا يعنيها ولا ينقص من حُبها لي، أوهمتني أن ما يُهمها هو أن تبقى بجانبي للأبد، ومن ثم أمسكت بسكين وذبحتني، ولم يُهمها تأوه فؤادي، لم يُهمها دمع عينيَّ وكسر خاطري.

قد أحببتُها بصدق، بل عشِقتها! كانت هي حُلوُ أيامي، بل أحلى ما صادفته في عُمري، كانت ملاذي في هذه الدنيا، كانت بدر الليالي وأنسَ وحدتي ودفء شتائي ونسمة صيفي وزهرة ربيعي، كانت أماني ومأمني، سُكناي وسكني، كنت ولا زلتُ أُحبها، أُحبها بعد ما فعلته برُوحي، أتمنى لو أستطيع أن أنتشلها من قلبي، ولكن لا أستطيع! وكأنها مختبئة في ركن بعيد في فؤادي، لا يراها الهجرُ ولا النِسيان، وكأنها لعنة لاتنفكُ وقد أصابتني!

دام الفراق خمسُ سنواتٍ حتى الآن، هي نفسها المُدة التي تفصل بين عُمرينا، كنتُ في سنةِ التخرج عندما رأيتها، كانت طالبة في السنة الأولى في كلية الهندسة، لمعت عيناي مذ رأيتها أول مرةٍ، وكأنها الغيث الذي أتاني بعد سنواتٍ عُجاف، حتى هي، مُذ رأتني رأت بي الجدار الآمن، كلما مالت إليّ اعتدلَت.

تقدمتُ لخطبتها مراتٍ عدة، ولكن والدها كان يرفضُ في كل مرة، شاب فقير ليس معه ما يجعله يأمنُ على ابنته معه، كنتُ أنفق على أمي وإخوتي بعد أن توفّي والدي وأنا صغير، فأصبحتُ أعمل في عمر صغير، وأيضًا والدتي كانت تعمل، كنتُ مُجتهدًا جدًّا في دراستي، وكانت

والدتي دائمًا مُصرةً على أن أُحقق حُلُمي وألتحق بكلية الهندسة، وقد فعلتها! ومن ثم أخي، كنت أعمل مع الدراسة حتى أوفّر لأمي وإخوتي ما يحتاجونه، كان يُهمني أمر إخوتي أكثر من نفسي، حتى إنني قد أجّلتُ سنة دراسية لأعمل بها وأوفر دخلًا كافيًا لأختي التي كانت طالبة في الثانوية العامة، وبعد انتهائها أكملتُ دراستي، كنتُ حزينًا عندما أجّلتُ سنة دراسية كاملة، لطالما كنتُ أحلم أن أنتهي من دراستي لأتفرغ للعمل فقط، ولكن بعد أن قابلتُ رُوحي أصبحتُ مُمتنًا جدًّا لهذه السنة الدراسية.

ظللتُ أتقدمُ لخطبتها إلى أن وافق والدها، كنتُ مصدومًا وسعيدًا جدًّا، ها قد أصبحت رُوحي معي، بعد ذلك علمتُ منها أنها قد انقطعت عن الطعام والشراب لأجلي ولأن والدها رفضني، ولأنها هي ابنته الوحيدة قد وعدها والدها أنه إذا تقدمتُ لخطبتها مرة أخرى سيقبل بي، بل ووافق أيضًا أن تدوم الخطبة لمدة ستة أشهر ومن ثم يُعقد القران.

كنتُ أظنُ أن الدنيا قد ابتسمت لي أخيرًا، وها أنا قد امتلكتها بمفردي، ولكن كان والدها دائمًا ينهرني بشدة ويقلل من شأني ومن عجزي عن تكوين نفسي لأتزوج بابنته، ولكن كنتُ أستقبل كل هذا بصدرٍ رحب، يكفي أنها زوجتي، يكفي أنني قد نلتُها بعد سنتين من الرفض، يكفي أنها ممسكةً بيدي، لطالما تمنيتُ هذه اللحظات وها أنا قد نِلتها، لكنني لم أظن يومًا ما أن الفراق سيكون مصيرنا في النهاية.

أنتِ كالدواء في الحلقِ مُر
ولكن بكِ النفسُ تطيب..
أنتِ كزهرة يملؤها الشوكُ
وأنا الذي لم يُبالِ..
أنتِ التي اقتطفتُها
وامتلأ شوكُكِ بدمائي..
أنتِ حربٌ لا تنتهي
وسلامٌ لا يُنال..
أنتِ الهلاك..
وأنا المسكين الذي أحبّ أن يُهلَك.

بعد أن انتهى الحديث بيننا أنا وعمرو دلفنا إلى المنزل، ورأينا والدتنا ـ التي تُدعى نجوى ـ تُصلي فرضها، اقترب عمرو من أذني وقال لي:

ـ يلا بينا نجري عشان دي لو خلصت صلاة ولمحتنا هتفتح نفس الموضوع اللي ما وراهاش غيره اليومين دول.

ضحكتُ على ما قاله وقلتُ له:

ـ والله عندك حق.

ـ طب يلا بسرعة.

أسرعنا الخُطى كلٌّ منا إلى غرفته ولكن سرعان ما أنهت والدتنا فرضها واتجهت بنظرها إلينا وقالت:

ـ سمعتكم يا ولاد رأفت، بس هتروحوا مني فين؟ دي الدنيا قد كدا.

نظر إليّ عمرو وقال مازحًا:

ـ شافِتنا شافِتنا.

قلتُ له:

ـ طب اجري اجري ما تبصش وراك.

هرولنا سريعًا كلٌّ منا إلى غرفته، دلفتُ إلى غرفتي واتجهتُ سريعًا إلى الفراش لأنام بضع ساعاتٍ أخرى قبل موعد العمل.

اشتعلت نجوى غضبًا من ولديها، فعلى الرغم من برهما الشديد لها إلا أنهما لا يستمعان إلّا لأنفسهما، يتميزان بالعناد إلى أبعد حد.

في الساعة السابعة صباحًا استيقظتُ، نهضت من الفراش وذهبت إلى المرحاض واغتسلت، خرجت منه وشرعتُ في ارتداء ملابسي ثم نزلت درجات السُلم، ورأيتُ أخي جالسًا بجوار أمي التي يظهر على ملامحها الغضب على عكس ملامح عمرو التي يظهر عليها المرح، ابتسمتُ، فقد علمتُ جيدًا ماذا حدث بينهما وماذا سيحدث الآن، اتجهتُ إلى والدتي وجلستُ بجوارها وأمسكت يدها وقبّلتها ثم قلتُ:

ـ يا صباح الفل يا ست الكل.

نظرت إليّ بضيق وردّت:

ـ صباح الخير.

نظر إليها عمرو قائلًا:

ـ ما تفكيها علينا يا ست الكل كدا، دا احنا حتى زي ولادك.

أجابتهُ بغضب:

ـ إسكت يا واد أنت عشان انا مبكوكة منك أنت بالذات.

ـ مبكوكة؟ إيه مبكوكة دي؟

قالها عمرو، فقلتُ مازحًا:

ـ ما عاش اللي يبككك يا ست الكل.

أجابت:

- حتى أنت يا ياسين؟ وأنا اللي بقول عليك الكبير والعاقل، تقوم تتريق عليا أنت كمان؟
- هو أنا أستجرى؟ قوليلي بس إيه اللي مزعلك مننا.
- ما هو بص بقى أنت وهو، أنا لا هرتاح ولا هيهدالي بال غير لما اشوف كل واحد فيكوا متجوز ومتستت في بيته واشوف عيالكوا قبل ما اموت.
- نتستت إيه يا ماما؟ احنا رجالة.

قالها عمرو، فأجبتُها قائلًا:

- ربنا يطولنا في عمرك يا ماما وتشوفي ولادنا وولاد ولادنا إن شاء الله.
- ودا هيحصل إزاي وانتوا قاعدينلي كدا؟

قالت أمي، فأجابها عمرو:

- يا ماما إحنا مش كُبار يعني، يعني ابنك الكبير عنده ٣١ سنة وأنا ٢٨ سنة، لسه صغيرين، ما فاتناش قطر الجواز يعني، مستعجلة علينا ليه بس؟
- قوم ياض أنت من جمبي عشان أنا لا طيقاك ولا طايقة كلمة منك.

باندهاش مصطنع قال عمرو:

- إخص عليكي يانجوى، وهنت عليكي؟ دا أنا ابنك فلذة كبدك برده.
- خلاص بقى ياعمرو بطل هزار.

قُلت أنا، ومن ثم تنهدتُ تنهيدة تدل على الضيق الذي أصابني، لطالما قلتُ لها أنني لا أُفكر في أمر الزواج، وكيف أتزوج وما زلتُ أهواها؟ فتابعتُ قائلًا:

- بصي بقى يا ماما، عمرو عندك أهو لو عايز يتجوز يبقى خير وبركة، مش عايز براحته، لكن أنا لأ، أنا مش هتجوز، مش عايز أتجوز يا ماما وقلتهالك كتير.

قالت بضيق:

- وهتفضل مش عايز تتجوز لحد إمتى؟

قلتُ متنهدًا:

- لحد ما ربنا يريد وآجي أقولك نويت أتجوز.
- لا أنا ما ينفعنيش الكلام دا، يا بني أنت عديت التلاتين خلاص، هتستنى إيه تاني؟ إيه اللي مانعك عن الجواز بس؟ شاب ما فيش منه اتنين، أخلاق والناس كلها بتحلف بيها، مال والحمد لله ربنا فاتحها علينا من وسع، يبقى إيه اللي مانعك؟
- مانعني كتير ياماما.

فهمت أمي ما أرمي إليه فازداد غضبها كثيرًا وقالت:

- يا دي النيلة علينا، هي البنت دي عاملالك عمل ولا إيه؟ معاها مش ناسيها سايبها برده مش ناسيها! هو فيه إيه يا بني؟ يا بني هي سابتك واتجوزت غيرك وداست عليك برجليها وراحت شافت حياتها ونسيتك خلاص، ماتشوف أنت كمان حياتك بقى.

غضبتُ من حديثها هذا، كيف تتفوّه بهذا الكلام وهي تعلم أن الأمر ليس بيدي؟ يا ليتني يا أمي أستطيع، لطالما تمنيتُ أن أنساها، لطالما تمنيتُ أن يزورني النسيان لتهجرني ذكراها، لكن النسيان هو الذي هجرني وترك لي الذكرى تفتت فؤادي.

كتمتُ غضبي بداخلي ولم أجبها، وعزمتُ على أن أتركها وأغادر إلى أن أوقفتني يدان التفّتا حول رقبتي وقبلةً طُبعت على خدي الأيمن، علمتُ منها أنها هي، صغيرتي.

ـ صباح الخير عليكوا يا أهل الدار، مالكوا بتزعقوا على الصبح كدا ليه؟

قالت أميرة، فابتسمتُ لها وأخذتُ بيديها وأجلستها بجواري ومن ثم قبّلتُ جبينها، أي ألم يصيبني أنساه بمجرد رؤيتها، لطالما عددتها ابنتي وليست أختي، صغيرتي التي أدللها دائمًا ولا ألتفتُ مطلقًا إلى حديث أخي في أنني أُبالغ في تدليلها، أنا من اخترتُ لها اسمَها ‹‹أميرة››، وإن كانت في عينيَّ أجمل من كل الأميرات، هي أميرتي أنا وحدي، ولو أنها ما كانت تُحب مالِك هذا وهو أيضًا يُحبها لما وافقتُ على زواجها به وأن تكون أميرة لغيري، أجبتُها بابتسامتي المعتادة:

ـ يا صباح النور على عيونك ياست الأميرات، عاملة إيه يا حبيبتي؟

ردتّ بابتسامة:

ـ الحمد لله ياحبيبي كويسة.

فقال عمرو بسخرية:

ـ هي كانت مهاجرة؟ إيه هو اللي عاملة إيه والحمد لله كويسة!

قهقهتُ عاليًا ثم قلتُ:

ـ يا أخي أنا مش عارف أنت مضايق نفسك ليه؟ وأنت مالك يا أخي؟

فقال:

ـ خلاص إولعوا ببعض.

وهنا تحدثت أمي مجددًا وقالت:

ـ قلت إيه يا ياسين في اللي قلتهولك؟

فشعرتُ بالغضب من جديد واختفت ابتسامتي تمامًا وقلتُ لها:

ـ قُلت لا إله إلا الله يا ماما، عن إذنك عشان اتأخرت على الشغل.

وتركتهم جميعًا وذهبتُ إلى مقر عملي.

أما عنهم..

هو فيه إيه يا عمرو؟ ياسين ماله؟

قالت أميرة، فأجابها عمرو:

ـ ماما اتخانقت معاه عشان مش عايز يتجوز.

نظرت إلى أمها وقالت بملل:

ـ تاني يا ماما؟

فقالت نجوى بغضب:

ـ تاني وتالت وعاشر، وأنا وراه لحد ما يتجوز.

فقال عمرو:

ـ يا ماما ياسين مش هيتجوز طول ما هو بيحب رُوح.

ـ أنا مش عارفة طلعتلنا منين رُوح دي.

ردّت عليها أميرة قائلةً:

ـ أهو بقى نصيبه يا ماما، ويا ريت ما تفتحيش معاه الموضوع دا تاني، يا ماما ياسين بيتعذب عشان لسه بيحب رُوح وهي اختارت تبعد عنه بمزاجها، وبيتعذب أكتر لما حد بيفكره بيها، وهيتعذب أكتر وأكتر لو اتجوز واحدة غيرها، وهيظلم البنت اللي هيتجوزها معاه، فيبقى ليه من الأول؟ ادعيله أنتِ بس يا ماما إن ربنا يهون عليه العذاب اللي هو فيه دا ويرزقه بواحدة تعوضه عن اللي شافه منها.

نظر إليها عمرو وتحدث بسخرية قائلًا:

ـ وما دامك عارفة الكلام دا كله وعارفة إنها أذِته كتير، ليه مُصرة تشتغلي معاها؟

تنهدت أميرة بزجر قائلةً:

ـ وإيه المشكلة؟ فيها إيه لما اشتغل معاها؟

ـ فيها إن ما عندكيش دم والله العظيم، ودلع ياسين ليكي واللي بيعمله عشانك خسارة فيكي والله، أنا مش عارف أنتِ إزاي قادرة تبصي في وشها بعد اللي عملته في

أخوكي؟ دا لو واحد من الشارع عرف اللي عملته فيه والمعايرة اللي عايرتهاله هي وأهلها هيتف عليها كل ما يشوفها، وأنتِ يا اللي اسمك أخته مش همك.

صمتت أميرة وطأطأت رأسها ولم تُجب، تعلم أنها من وجهة نظره مُذنبة جدًّا وتكاد تكون أنانية ولا تشعر بما يملأ قلب أخيها من حزنٍ وآلام، ولكن من وجهة نظرها هي، هي على حق، أجابت والدتهم بسخرية قائلة:

ـ أنت جاي تحاسبها عشان راحة تشتغل معاها؟ طب روح حاسب أخوك اللي لسه بيحبها بعد كل اللي عملته فيه.

بتنهيدة ردّ عمرو:

ـ على رأيك.

قالت أميرة:

ـ طيب أنا هقوم أشوف ورايا إيه.

وقال عمرو:

ـ وأنا كمان هقوم ألحق ياسين.

لكن والدته أمسكته من ذراعه وأجلسته بجوارها مرة أخرى وقالت:

ـ إستنى هنا رايح فين؟

ـ إيه يا ماما؟ رايح الشركة.

ـ أنا لسه ما خلصتش كلامي معاك.

تنهدّ بضيق قائلًا:

ـ خير يا ماما؟

ـ أنت هتتجوز أنت كمان ولا هتترهبن زي أخوك؟

- لا أترهبن إيه، هتجوز طبعًا.
- إمتى؟
- لما ألاقي بنت الحلال.
- ما هي موجودة بنت الحلال.

اندهش عمرو قائلًا:

- بنت الحلال مين دي اللي موجودة؟
- إسراء بنت خالتك، والله دي بنت ما فيش منها يا واد يا عمرو.

نظر عمرو إلى والدته بضع لحظات، ثم اعتدل في جلسته وقال:

- استنيني بقى هنا عشان أنا لاحظت إن العرايس اللي في الدنيا خلصوا وما فاضلش غير بنت أختك دي، هو أنتِ زعلانة عشان أنا وأخويا مش عايزين نتجوز بنت أختك ولا زعلانة إننا مش عايزين نتجوز في العموم؟
- الاتنين يا فالح.
- طب تصدقي بقى، ما دام هي كدا مش هنتجوز خالص يانجوى.
- ياسلام!
- اه يا عبسلام، سلام.

ثم تركها غاضبة كعادتها في كل مرة يتحدثون عن أمر الزواج ودخل المطبخ حيث تجلس سيدة رقيقة القلب تُباشر عملها تُدعى «صباح»، تلك السيدة التي تُساعد نجوى في عملِ البيت، يُحبها عمرو كثيرًا وهي

أيضًا، وأقربُ من في البيت لقلبها هو عمرو، دلف إلى المطبخ عمرو وقال لها:

ـ أنا رايح الشغل ياداده، عايزة حاجة؟

نظرت إليه والابتسامة على وجهها وقالت:

ـ سلامتك يا حبيبي.

ـ طيب مع السلامة بقى.

أوقفته قائلةً:

ـ إستنى بس.

فوقف وقال لها:

ـ إيه يا ست الكل؟

قالت له:

ـ بالراحة على أمك شوية، هي عايزة مصلحتك أنت وأخوك.

فقال لها مازحًا:

ـ أنتِ اللي بتقولي كدا يا صباح؟ وأنا اللي فاكرك هتغيري عليا وتقوليلي مانا قدامك أهو ما تتجوزني، إخص!

قهقهت صباح عاليًا وقالت:

ـ يا واد بطل قلة أدب شوية واتكلم عِدل.

ـ أعمل إيه بس؟ غلبني حبك ولو عارف إن أمي هتوافق أتجوزك كنت قُلتلها وخلصنا من الزن دا.

ـ إتلم يا وَلا واسمع مني، اسمع كلام أمك وشوف بنت خالتك.

زفر عمرو قائلًا:

ـ مش هشوفها، أنا مش هتجوزها، الله! هو يعني ما فيش غيرها؟

ـ طب يا سيدي اختار أنت وروح قولها جوزيني دي.

ـ مانا ناوي بقى أعمل كدا، بس لما ألاقيها الأول.

تنهدت صباح وصمتت، فقال عمرو:

ـ بقولك إيه، مش أنتِ عندك بنت؟ هي اسمها إيه معلش؟

ـ يا لهوي عليك، سألتني مية مرة قبل كدا وأقولك اسمها حبيبة، وصاحبة أميرة أختك ودايمًا تنسى اسمها مع إن اسمها مش صعب يعني.

ـ معلش بقى أصل أنا ذاكرتي بعافية شوية، المهم يعني، ما دام عندك بنت ما تجوزيهالي ونخلص من زن نجوى شوية.

ضحكت صباح وقالت:

ـ وأنت تعرف بنتي أصلًا ولّا شوفتها قبل كدا؟

ـ لأ بس اشوفها واعرفها عادي.

ـ طب ما دامك جاهز كدا روح لبنت خالتك، على الأقل شايفها وعارفها.

فقال عمرو بضيق:

ـ يا دي النيلة، لأ كدا كتير، بقولك إيه، أنا همشي بدل ما نخسر بعض، سلام ياحُبي.

ضحِكت قائلةً:

ـ مع السلامة.

وتركها وذهب إلي عمله لاحقًا بأخيه، أما عن نجوى، فهي أم كأي أم، تتمنى أن تطمئن على أولادها جميعًا وبالأخص هذا الياسين، ذلك الذي باع فؤاده للهوى واشترى الهوى منه فؤاده بالبكاء والألم، باع فؤاده مقابل لحظة قُربٍ في وسط البُعد، ولحظة ضحك في وسط الدموع، ولحظة هدوء في وسط الصراخ، لم ينظر في الحب إلا لحُلوه، لم ترَ عيناه مُر الحُب، ولكن كيف يكون الحب حُبًّا إذا ما ذاق مُبتلاه مرارهُ؟

هي كأي أم يشق عليها حزن ولدِها، تتمنى أن ترمي بذور الأمل في قلبه من جديد، لعلها تُصيب هذه المرة ويمر الغيث على فؤاده وتنبت بذور الأمل أزهارًا.

وصلتُ إلى مقر الشركة، دخلتُ بوقاري المُعتاد وصلابتي المعهودة على عكس ما بداخلي، دلفتُ إلى مكتبي وجلستُ على مقعدي ووضعتُ يدي على سطح المكتب وأسندتُ رأسي إليها، قد ضاق صدري بكلمات أمي وطال شرودي فيها، أقسمتُ لنفسي أنني لا أستطيع، لا أستطيع الزواج وقلبي هذا ليس معي، أتمنى لو أنني كنت قويًّا للدرجة التي تجعلني أتجاوزها وأذهبُ لغيرها بهذه السهولة.

ـ ياسين، أنت يا بني!

رفعتُ رأسي فوجدتُ مالِكًا واقفًا أمامي، تعجبتُ وقلتُ له:

ـ أنت هنا من إمتى؟

فقال:

ـ من بدري، وبنادي عليك وأنت مش سامعني.

ـ طب اقعد.

جلس مالِك أمامي وقال:

ـ مالك فيه إيه؟

تنهدتُ وأجبتُه بملل قائلًا:

ـ المعتاد.

ـ حماتي عايزة تجوزك؟

ـ أيوة.

ـ طب ما تسمع كلامها يا ياسين.

نظرتُ إليه بضيق قائلًا:

ـ أنت كمان هتقولي كدا؟

ـ ياسين افهمني، مش يمكن لما ترتبط بواحدة تانية تقدر تنسيك رُوح؟ فكر فيها.

ـ قوم ياض امشي من قدامي شوف وراك إيه.

ـ يا بني فكر في نصيحتي.

ـ متشكر خليهالك، قوم يلا روح شوف شغلك.

ـ لأ مش دلوقتي، لما أقولك اللي أنا عايز أقولهولك.

ـ عايز تقول إيه؟

ـ عايز أتجوز يا ياسين.

- بعينك.
- ليه يا ياسين؟ ليه؟ على فكرة أختك دي مراتي، يعني أنا مش بشحت منك موافقتك.
- طب خليك قد كلامك دا وروح حدد معاد الفرح من ورايا، ووريني شطارتك يا أمور.
- أنت بتعمل فيا كدا ليه ياض أنت؟ دا أنا حتى صاحبك، سترك وغطاك.
- لأ برده.
- طب ليه؟ فهمني، إديني سبب مقنع يخلينا نستنى، أختك جاهزة وأنا جاهز نستنى ليه؟
- لحد مانا أقرر.
- وهتقرر إمتى حضرتك؟
- لما أحس إن أختي مش هتجيلي في يوم زعلانة وتشتكيلي منك، وأشوفك ما تستحملش زعلها ولا دمعة واحدة من عنيها تنزل بسببك، لما أحس إنك مش طايق الدنيا وهي بعيدة عنك ولا حتى طايق نفسك، وأحس إنك بتحبها بجد، بس بتحبها الحب اللي أنا عايز أشوفه فيك، وقتها بقى هوافق.
- كإنك بتوصفني وأنت بتتكلم، صدقني والله أنا كدا.
- لأ برده، لسة شوية.
- يا ياسين عشان خاطري.
- قُلت لأ.

تنهد مالِك بضيق، ثم قال:

ـ ماشي، حكم القوي، أنا هروح أشوف شغلي.

ـ بالسلامة.

ذهب مالِك إلى مكتبه وتركني وحيدًا تُحاربني أفكاري، ولكنني قررتُ أن أشغِل نفسي بعملي لعلي أنسى، ومرت ساعات العمل إلى أن دقت الساعة الحادية عشرة، موعد راحتنا «البريك»، خرجنا ثلاثتنا من مكاتبنا وذهبنا معًا إلى مطعم بالقرب من الشركة اعتدنا دائمًا الذهاب إليه وتناول الغداء كل يوم.

ـ لازم نظبط نفسنا كويس عشان الصفقة دي، لو قدرنا بجد نطور من إمكانياتنا بصورة كبيرة يبقى الشركة الألمانية دي هتعمل معانا الصفقة وهترسى علينا.

قال عمرو:

ـ طب مندوبين الشركة دي هينزلوا إمتى مصر؟

أجبتُه قائلًا:

ـ بعد سبعة أشهر إن شاء الله هيجوا يشوفوا الأجهزة اللي اتصنعت في كل الشركات اللي ناوية تعمل الصفقة دي، والشركة اللي هيعجبهم شغلها وتتصنّع أجهزتها على أعلى مستوى هتعمل الصفقة معاها ويستوردوا منها كميات كبيرة أكيد، فالموضوع طبعًا محتاج دراسة وشغل عالي ودراسة كويسة للتصاميم اللي عرضوها، وإحنا إن شاء الله هنقدر نعمل كدا، وإن شاء الله الميزانية اللي إحنا محددنها تكفي.

فقال مالِك:

ـ ما تقلقش أكيد هترسى علينا الصفقة دي، مين في السوق دلوقتي زينا ولّا إمكانياته زي إمكانياتنا؟

قلتُ له:

ـ أولًا قول إن شاء الله ترسى علينا، ثانيًا مش إحنا لوحدنا في السوق، فيه غيرنا كتير كُبار في السوق، شركة السيوفي والهواري والصياد وغيرهم، لازم نجتهد شوية عشان نسبقهم في الخطوة دي.

ردّ عليّ قائلًا:

ـ إن شاء الله.

بعد قليل جاء النادل ومعه الغداء، فاندهش عمرو، والشيء الذي سبّب دهشته هو أن النادل فتاة وليس فتى! بعد أن أنزلت طلباتنا وغادرت قال عمرو:

ـ إيه دا؟ دي بنت!

فأجابه مالِك:

ـ وإيه المشكلة؟

ـ أصل أول مرة أشوف البنت دي هنا، ما شفتهاش قبل كدا، وبعدين كل اللي بيشتغلوا هنا رجالة وهي البنت الوحيدة.

فقلتُ له:

ـ عادي يعني أنت مندهش ليه؟

فقال:

- مستغرب مش أكتر، يعني هي مش خايفة على نفسها في وسط الرجالة دي كلها؟

قلتُ:

- ما تعرفش ظروفها إيه اللي تخليها تشتغل في مكان كله رجالة بس، وأكيد هي قادرة تحافظ على نفسها.

رفع عمرو كتفيه معبرًا عن عدم اقتناعه بما قلتُه، ولكن الأمر لم يشغله كثيرًا، وتناولنا غداءنا في صمت، وبعد ذلك رجعنا إلى شركتنا وتابعنا عملنا.

- إزيك يا حبيبة؟ وحشتيني جدًّا جدًّا والله.

قالت أميرة، فردّت عليها حبيبة بضيق:

- يا سلام، لو كنت وحشتك بصحيح كنتِ سألتي عليا، بذمتك بقالك قد إيه ما سألتيش عليا؟
- أولًا أنا اللي متصلة بيكِ دلوقتي، يعني بسأل أهو، ثانيًا أنتِ مش مقطعة الاتصالات عليا يعني وأنا اللي ما بعبركيش.
- طب أنا واحدة وبشتغل وأغلب وقتي مش فاضية، أنتِ بقى ما بتشتغليش وقعدالي في البيت على طول، يبقى حقي عليكي أنتِ اللي تكلميني تتطمني عليا.
- لا مانا خلاص مش هابقى فاضية بعد كدا، هشتغل خلاص.

ردّت عليها حبيبة بصدمة:

- إوعي تقولي إن ياسين وافق إنك تشتغلي مع رُوح!
- وافق.
- وافق؟! إزاي وافق؟
- ما اعرفش، بس وافق.

بتنهيدةٍ قالت:

- حقيقي أخوكي دا صعبان عليا جدًّا، وحاسة إنه بيجي على نفسه كتير عشانكوا.

ردّت عليها أميرة بضيق:

- بطلي بقى كلامك دا، ما تخلينيش أحس بتأنيب الضمير أكتر من كدا.

فأجابتها حبيبة قائلةً:

- لو حاسة بتأنيب ضمير فعلًا يبقى ما تروحيش تشتغلي مع اللي كسرت قلب أخوكي.
- أنتِ اللي بتقولي كدا يا حبيبة؟
- أيوة، ورُوح كمان قالتلك الكلام دا بس أنتِ اللي راكبة دماغك بقى.
- أُمال لو ما كنتيش عارفة الحقيقة كلها كنتِ قُلتي إيه؟
- أنا وأنتِ عارفين االه، لكن أخوكي لأ، والمفروض تكوني في صف أخوكي.

ردّت بعدم اقتناع قائلةً:

- طيب طيب خلاص إقفلي الموضوع دا بقى، المهم إحنا مش هنتقابل ولا إيه؟
- نتقابل إزاي؟ أنا فاضية؟
- ما تسمعي كلام رُوح وتسيبي شغلك في الشركة اللي أنتِ شغالة فيها دي وتعالي اشتغلي معانا في شركتها، على الأقل نكون مع بعض.
- لا يا ستي، أنا مستريحة في شغلي كدا.
- خلاص بقى براحتك.
- طيب سلام دلوقتي وهبقى أكلمك تاني عشان ورايا شغل.
- تمام، مع السلامة.

أغلقت حبيبة معها الهاتف، شعرت بالأسى من حديثها مع صديقتها عن عملها، لم تخبرهم شيئًا عما حدث لها في عملها القديم وكيف تركته، لم تُرد أن تشعر بالشفقة منهما، فاقت من شرودها على صوت مديرها وهو يُنادها:

- حبيبة، روحي شوفي طلبات ترابيزة رقم ٥.

ردّت بحزن قائلةً:

- حاضر يا فندم.

تركت حزنها وراءها وتناست فقرها وآلامها وذهبت لتُكمل عملها، نعم! حبيبة هي الفتاة التي رآها عمرو في المطعم واندهش كثيرًا، هذا أولُ يوم لها بالمطعم، هي اندهشت أيضًا عندما رأت عمرًا ومالِكًا وياسين، هي تعرفهم جيدًا من أميرة ومن صورهم التي تضعها لهم على

مواقع التواصل الاجتماعي، وأيضًا والدتها تعملُ لديهم ولكن هي لم تزرها أو تزر أميرة ولا مرةٍ في بيتها، كانت تخجل من أن تجلس كضيفة ووالدتها تخدمها، لذلك فضّلت ألّا تذهب، ويوجد وسائل عدة تستطيع أن ترى بها أميرة، ولذلك هي تعلم أيضًا أن إخوة أميرة وخطيبها لن يتعرفوا عليها، ولكن نظرات عمرو لها كانت تُربكها وتشعرها أنه قد فُضح أمرها، وحاولت أن تُهدئ من روعها وتتذكر كلام أميرة أن أخويها لا يعرفانها، كانت أميرة تعمل بشركةٍ كبيرة، وفّقها الله لهذه الوظيفة وكانت سكرتيرة لدى المدير العام بالشركة، إلى أن فوجئت بقرار رفدها من الشركة، ولما تحرّت عن الأمر وجدت أن فتاة تمتلك واسطة قد أخذت مكانها وبمنتهى الظلم تم رفدها، أُدمي قلبها من الحزن؛ فقد ساعدتها هذه الوظيفة على تحسين وضع معيشتها، ولكن هيهات! من يهتم لأمرها؟ بحثت كثيرًا عن عملٍ لها في شتى الشركات، ولكن لم تجد، إما أنهم لا يقبلونها وإما لا تتوفر لديهم وظائف، إلى أن كانت تتجول ذات يوم بيأسٍ في الشوارع وبلا هدف فرأت لافتة معلقة على باب مطعم أنهم يحتاجون نادلًا جديدًا بالمكان، لم تُفكر كثيرًا حتى أقدمت على هذه الوظيفة وقُبلت، لم تملك خيارًا آخر.

مرّ شهران على الجميع بلا أي حدثٍ جديد يلفتُ الأنظار، الحياة ما زالت روتينية جدًّا، في الصباح أنا ومالِك وعمرو مندمجون كثيرًا في العمل وفي التصاميم التي لا بُد أن نصنعها على أكمل وجه، يتخللها وقت الراحة المليء بنظرات عمرو التي تتابع فتاة المطعم، والتي علمنا من البطاقة الموضوعة يسار صدرها أنها تُدعى «حبيبة»، والمساء أقضيه

على كورنيش النيل، ذلك المكان الذي شهد على أجمل لحظات العُمر، وأقبحها أيضًا.

يومٌ جديد..

كان عمرو جالسًا في مكتبه يعملُ في هدوء حين دلف مالِك إلى مكتبه فجأة وبدون إذنٍ وعلامات الصدمة تكسو وجهه، فُزع عمرو كثيرًا من دلوفه المفاجئ هذا وقال:

ـ إيه يا بني خضتني فيه حد يدخل على حد كدا؟!

لكن مالكًا لم يستطع أن يُجيب عليه لاضطراب أنفاسه وتسارعها، فدقق عمرو في ملامحه فوجد شيئًا من الصدمة والغضب، فنهض من مقعده واتجه إليه قائلًا:

ـ إيه يا مالِك في إيه؟ إيه اللي حصل؟

ـ مصيبة!

ـ يا ساتر يا رب، في إيه؟

ـ الصفقة الجديدة..

ـ مالها؟

ـ المنافسة عليها عِليت جدًّا جدًّا.

تعجب عمرو مما قاله، وهل هذا يدعو للدهشة والغضب؟ فقال:

ـ وفين المشكلة برده؟ فين المصيبة في اللي بتقوله؟

ـ المصيبة إن شركة السيوفي وشركة الهواري اتحدوا مع بعض، وقرروا يشتغلوا سوا على الصفقة، وبالتالي فيه

إمكانيات هتزيد وفيه ميزانية كبيرة وفيه خُبرا جامدين يشتغلوا على التصاميم، وفيه أَيدي عاملة كتير، وبكدا من الطبيعي جدًّا إن الصفقة هترسى عليهم هما؛ لإن إحنا ما عندناش ميزانية قد ميزانيتهم ولا حتى في الإمكانيات ولا حتى في الأَيدي العاملة.

تسمّر عمرو مما قاله مالِك، وردّ عليه قائلًا:

- يا دي المصيبة! دا ياسين كان بيحلم بيها وهاري نفسه شغل ليل نهار عشانها، دي كانت هتنقلنا نقلة تانية خالص، بس أكيد ياسين مش هيسكت وهيتصرف.

قال له مالِك:

- التصرف الوحيد اللي ممكن ياسين يتصرفه هو إنه يتحد مع شركة كبيرة تانية بنفس الإمكانيات ويشتغلوا مع بعض، وقتها هترجع نسبة المكسب بيننا زي ما كانت، وهترسى على الشاطر في الآخر، بس السؤال هنا بقى، هنتحد مع شركة مين؟

لم يستغرق عمرو وقتًا في التفكير حتى ردّ بصدمة:

- لا ما تقولش، شركة الصياد؟ شركة رُوح؟
- بالظبط.
- لا لا مستحيل، مستحيل ياسين يوافق.
- مانا عارف إنه مستحيل يوافق، بس يا ترى فيه حل تاني؟ فيه شركة حاليًّا في السوق أكبر من شركة الصياد عشان نتحد معاها؟

أجابه عمرو بعدم اقتناع:

ـ عادي يعني، ماحنا برده ممكن نشتغل لوحدنا وتطلع الأجهزة اللي هنصممها أحسن بكتير.

ـ أنت عبيط يا عمرو ولّا بتستعبط؟

ـ يووووه، أقولك إيه يعني؟

ـ ما اعرفش بقى.

ـ يا شيخ يخرب بيت الحب وسنينه اللي جايبنا ورا دا.

ـ طب هنعمل إيه برده؟

ـ نروح لياسين بقى نشوف هنهبب إيه، يمكن نقدر نقنعه.

ـ قصدك هنتهزأ ومش هنقنعه.

أخذ عمرو نفسًا عميقًا ووضع يده على كَتف مالِك قائلًا:

ـ أي نعم هناخد على قفانا، لكن شرف المحاولة يكفينا.

ضحك مالِك قائلًا:

ـ طب يلا بينا.

فوجئتُ بدلوف مالِك وعمرو إلى مكتبي في وقتٍ كهذا، ظننتُ للحظة أنه وقت راحتنا، ونظرت إلى الساعة فوجدتُها ما زالت العاشرة، فقلتُ لهما:

ـ إيه اللي جابكوا دلوقتي؟ دا مش وقت البريك!

تبادل مالِك وعمرو النظرات لبعضيهما، ثم قال مالِك:

ـ فيه خبر وحش جايين نقولهولك.

تنهدتُ بعمقٍ وأسندتُ ظهري إلى الوراء وقلتُ:

ـ إشجوني، سمعوني جمال خطوتكوا.

تحدث عمرو وقال ما حدث منذ قليل بينه وبين مالِك في مكتبه من اتحاد شركتين من شركات المنافسين ومن موقفنا الذي بات ضعيفًا، غضبتُ كثيرًا وتسارعت أنفاسي، فقال مالِك:

ـ طبعًا أنت عارف إيه هو الحل الوحيد.

في هذه اللحظة لم أتمالك نفسي ونهضتُ من مقعدي وضربتُ بيدي على سطح المكتب قائلًا بغضب:

ـ أنت اتجننت يا مالِك ولا بتخرف؟

قال عمرو:

ـ ياسين إهدى، إحنا بنقول اللي هيفيدنا، إعقلها شوية وما تدخلش موضوعك القديم في شغلنا، دا شغل مش أكتر.

زاد كلامِه هذا من غضبي، فقلتُ له:

ـ والله لو حكمت إني أشحت هشحت، ولا إني أحط إيدي في إيد واحدة زي دي.

اندهش مالِك كثيرًا وقال:

ـ أمرك عجيب والله، طب ما دام عارف إنها واحدة مش كويسة وإنها مؤذية وأنت بتقول عليها كدا، ما نسيتهاش ليه؟ يا شيخ ارحم نفسك وارحمنا معاك من وجع القلب دا.

نظرتُ إليه والغضب ممتلئ في عينيَّ، وددتُ لو أُمسك مالِكًا من تلابيبه وأوجعه ضربًا، ولكني استطعتُ أن أكتم غضبي وأمسكتُ بكوب الماء الموضوع على سطح المكتب وألقيته بقوة في الأرض فانكسر، وقلتُ بغضب يملؤني:

- إنتوا فاكرين النسيان دا زرار هدوس عليه فهنسى كُل اللي حصل بينا في ثانية؟ هنسى اللي عيشته معاها؟ هنسى قلبي اللي داست عليه برجليها؟ هنسى إيه؟ ما حدش فيكوا له الحق إنه يقولي إنسى أو يتدخل في مشاعري، لإني مهما قُلت ومهما حكيت ما حدش هيحس بيا ولا باللي جوايا، أنا عمري جيت لحد فيكوا وقُلتله أنا حاسس بإيه وموجوع إزاي؟ عمري اشتكيت لحد فيكوا؟

صمتُّ لحظات أُحاول أن أُلاحق أنفاسي التي باتت مضطربة، ورأيتُ ملامح مالِك وعمرو قد لانت من حديثي هذا، ثم أكملتُ بنفس الغضب قائلًا:

- أنا تعبت لحد ما وصلتلها، تعبت أوي واتحديت أبوها اللي كان بيرفضني عشان أنا فقير، قعدت سنتين أتقدملها وهو يرفضني لحد ما وافق وكتبت كتابي عليها وبقت مراتي، كانت حلم واتحقق بين إيديا في لحظة، زي ما في لحظة ما كنتش واخد بالي منها نهِت كل حاجة بينا، ولا كإن كان بيننا حب، دبحتني بكل بحاجة.

صمتُّ مجددًا ومن ثم أكملتُ حديثي ولكن كان صوتي هذه المرة مليئًا بالألم:

ـ كانت دايمًا تقولي إن عمرها ليا، يا عمرها ليا يا بلاه العمر اللي من غيري، قالتلي إنها هتقف قصاد أبوها عشان كان بيتلكك لينا، هتعمل أي حاجة عشان تبقى معايا في النهاية، قالتلي إنها ما حبتش غيري، والله قالتلي كدا، لكن في يوم وليلة وفي لحظة كدا جت وقفت قدامي وطلبت إني أطلقها، والمفروض إني غصب عني حتى لازم أطلقها، وجعتني وعايرتني بفقري وكإنه عيب وكإنه ذنب، لحد ما قدرت أقف على رجلي وتعبنا إحنا التلاتة سوا، وفي خلال سنتين كان عندي شركة صغيرة، وبعدها بسنتين بقيت ياسين رأفت الزيني، صاحب شركة من أكبر الشركات في مصر، عايزني أنسى بسهولة كل دا وأحط إيدي في إيديها؟ كإني كنت بكبر عشان في الآخر أروحلها! بس لأ، دا أنا أرجع لفقري، أرجع زي ما كنت ولا إني أروحلها.

بعد أن أنهيتُ حديثي اتجه إليّ عمرو وربط بيده على كتفي قائلًا:

ـ خلاص يا ياسين خلاص، إهدى واعمل اللي أنت عايزه، المهم راحتك.

فقال مالِك:

ـ طب والعمل دلوقتي؟ هنعمل حاجة ولا هنستسلم للأمر الواقع؟

تنهد عمرو قائلًا:

ـ العمل عمل ربنا بقى.

فقلتُ بتردد:

ـ بس أنا مش عايز أخسر الصفقة دي.

ردّ عليّ مالِك قائلًا:

ـ أنت عندك شيزوفرينيا يا بني؟ والله الواحد احتار يعملك إيه.

بتنهيدة أجبتُه قائلًا:

ـ أنا ممكن أوافق إني أتحد مع شركة الصياد.

صُدم عمرو ومالك مما تفوّهتُ به الآن، وقال مالِك:

ـ أنت بتهزر ولا بتتكلم بجد؟

ـ بتكلم بجد، أنا ممكن أوافق بس بشرط.

قال عمرو:

ـ شرط إيه؟

ـ إن هي اللي تجيلي، مش أنا اللي أروحلها.

زفر عمرو قائلًا:

ـ أستغفر الله العظيم يا رب.

ـ دا اللي عندي وما حدش يفتح الموضوع دا تاني قدامي.

وبعد ذلك اتجهتُ إلى مكتبي والتقطتُ مفاتيح سيارتي من عليه وغادرت، ركبتُ سيارتي واتجهتُ إلى حيث ألقى راحتي، إلى كورنيش النيل، ذهبتُ إليه كالمعتاد جارًا ذِكراها معي، حتى أصبحتُ أرى هذا المكان حزينًا، قد خيّم عليه الحزن شفقةً بي ومجاملةً لخيباتي.

إن الحب لا يرحم الفؤاد الذي يسكنُ فيه، يغير من أحوال المحبين، فاسأل الكفيف متى يُبصر، واسأل المُبصر متى تُطمس عيناه، لا يأتي الحب إلا بالآلام والوجع، كالابتلاء هو، بل أشد وأقسى، فإن كان للابتلاء فرج، فهل للشوقِ لقاء؟ هل للحُب دواء؟

«هو مسكن الرُوحِ وهوى الفؤاد، هو هُنا،
قد عز على الفؤاد غيابَه، وعلى فؤاده هُنت أنا..»

- النيل حلو أوي.
- أنتِ أحلي.
- والسما صافية النهاردا.
- زي عنيكِ.
- وبعدين بقى؟ هتفضل تتغزل فيا كدا كتير؟
- هو حد له عندي حاجة؟
- عارف يا ياسين أنا نفسي في إيه؟
- في إيه؟
- نفسي أغمض عنيا وأفتحها ألاقيك بقيت مهندس كبير، لأ، رجل أعمال قد الدنيا، وليك شركات كتير بقى وفي كل الدول العربية، نفسي أغمض عنيا وأفتحها ألاقينا اتجوزنا وخلصنا من الهم اللي إحنا فيه دا، وزن بابا علينا، ونعيش بعيد عن الناس كلها، أنا وأنت وبس.

ابتسمتُ لها وأُدخلتُ خصلة من شعرها كانت تتطاير بفعل الرياح وأعدتُها داخل حجابها وقلتُ لها:

- هيحصل يا رُوح، إن شاء الله هيحصل.

نظرت إليّ والحزن بعينيها قائلةً:

- تفتكر بجد كل اللي بنحلم بيه هيتحقق؟ تتفكر بجد هنتجوز؟

نظرتُ إليها بتعجب وقلتُ:

- أنتِ عندك شك إننا مش هنتجوز؟ أنتِ ناسية إنك مراتي ولا إيه؟ أنتِ شاكة إني ممكن أطلقك؟

أمسكت يدي بخوفٍ قائلةً:

- أنا مش شاكة، أنا بس خايفة، خايفة الظروف تبقى أقوى مننا، خايفة تسيبني حتى لو غصب عنك، خايفة حاجة تحصل تبعدنا عن بعض.
- يا ربي عليكي، تموتي في النكد، ليه بس التشاؤم دا؟
- مش قصدي والله، بس زي ما قُلتلك، أنا بس خايفة.
- لا يا ستي ما تخافيش، إن شاء الله هنتجوز، وهعملك فرح في أكبر قاعة في مصر، وهجبلك فستان الفرح من باريس، وهنعمل شهر العسل في تركيا أو فرنسا، لأ في المالديف.
- إيه يا عم حيلك حيلك، أنت لاقي تاكل عيش ناشف أصلًا؟ وبعدين أنا لو عليا مش عايزة حاجة أصلًا، لا شبكة ولا شقة ولا فرح ولا أي حاجة، أنا والله ما عنديش مانع أعيش مع مامتك في شقتها، إن شالله أنا وهي في أوضة واحدة، المهم نخلص من الهم دا ونتجوز.

قهقهتُ عاليًا وقلتُ لها:

- دا أنتِ واقعة أوي بقى.
- واقعة واقعة بس نتجوز.
- بتحبيني أوي كدا؟
- أكتر من روحي.

هي نُور..

مذ رأتها عيناي اكتشفتُ أني كنت كفيفًا طوال حياتي، ولم يدخل النور إلى عينيَّ إلا عند رُؤيتها.

هي كل جميل.. وكل قبيح تراه عيناها جميل.

هي الوطن.. بعد سنوات من الغربة.

هي الحِصن.. بعد سنين من الاحتلال.

هي السلام.. بعد سنين من الحرب.

هي من أجناس الورد..

يفوح عِطرها من على بُعد أميال، هي وردةٌ لا تذبل.

هي السند..

لكفيف ترك العصا واكتفى بها، فاكتشف أنه كان ضالًّا بالعصا ولم يهتدِ إلا بها، وكأنها الهُدى وما دُونها ضلال.

هي من أسرت الفؤاد..

وكأنها أعلنت عليّ الاحتلال وما كان مني إلا الاستسلام لها، فيا لحظي! إنّي أسيرها، ويا لحظي! إنها سجاني.

هي بسمة الروح..

ودواء الجروح، وغيث الفؤاد، والليل الهادي، وربيعي في الخريف، وأماني وأنا ضعيف.

جمالها يفوق القمر أضعاف.. فلا قمر إلا وجهها، ولا ضي إلا بسمتها، فيا لحظي برؤية القمر وضيائه، وسوء حظ العالمين بخداعهم!

ويا لحظ قلبي بقلبها، وسوء حظ العالمين أني حبيبها!

أفقتُ من شرودي عندما وضع أحدهم يده على كتفي، التفتُّ لأرى من هذا ووجدته مالِك، جلس مالك بجواري وسألني:

ـ أنت كويس يا ياسين؟

هززتُ رأسي نافيًا ماقاله، وأجبتُ بهدوء على عكس ما بداخلي:

ـ قلبي محروق، مش قادر أنساها، لسه فاكر كل حاجة حصلت كإنها إمبارح، لسه فاكر يوم فرحها لما روحت وشوفتها لابسة فستان الفرح لحد غيري، أنا تعبت من حبها، تعبت من كل المشاعر اللي في قلبي من ناحيتها، تعبت من حبي ليها، تعبت من كرهي ليها، من الوجع، من الكسرة، أنا كنت بنتهي في كل لحظة وهي بعيدة، وهي مراة حد غيري، والله تعبت يا مالك.

ـ هتنسى، أكيد هيجي وقت وهتنسى، وربنا هيعوضك عن وجع قلبك دا.

أومأتُ برأسي له موافقًا على كلامه وعم الصمت بيننا إلى أن قطعته قائلًا:

ـ وحشِتني!

نظر إليّ مالِك بيأس، وكأنني أكدتُ له أن هذا الوجع الكامن في فؤادي لن يزول أبدًا، وكأنه مرض، وكأن الحزن قد أحبني، أحبني عِوضًا عنها!

اشتقتُ إليكِ يا حبة الرُوح..
فوالله إن الشوق موجع، إن الشوق أقسى من الحب على فؤادي
فإن كان الحب يُؤلم فؤادي فإن الشوق يكويه..
ودمع العينِ خيرُ دليل حتى إن بقايا الدمع ما زالت عالقة برموشي.

مرت بضعة أيام أخرى كالسابقة، انشغلتُ فيها بالتفكير في حلٍّ لهذه المشكلة التي لاً تُحل إلا بالعمل مع رُوح ، أنا أعلمُ أنها لن تأتي، لن تُجازف ولن تواجه، وكيف ستواجه بعد هذه المُدة؟ من جهتي أنا قد حسمتُ أمر الذهاب إليها، إنه بالأمر الثقيل على فؤادي تحمّل الذهاب إليها بعد كل ما حدث، فكيف ستُحل هذه المعضلة؟لم أكن أعلم أن الحل قريب مني لا محالة، هي لن تستسلم للخسارة أبدًا.

في الشركة..

خرجتُ من مكتبي ذاهِبًا إلى مكتب عمرو لأرى التصاميم التي طلبتُ منه أن يُحضرها، فرأيته واقفًا في الطرقة التي تفصل بين مكتبينا هو ومالِك، تقدمتُ منهما وقلتُ:

ـ واقفين ليه كدا؟

فنظر كلاهما إليّ وقال عمرو:

ـ كويس إنك جيت، أنا كنت جاي ليك أصلًا أوريك التصاميم، شوف كدا.

أخذتُ من يده الملف وبدأتُ أراها، وقف عمرو عن يميني ومالِك عن يساري، وشاركوني آراءهم في التصاميم ومناقشتها، ولكن فجأة فقدتُ تركيزي عندما سمعتُ صوت أقدام أنثى ترتدي كعبًا تقتربُ مِنا، حتى وقفت أمامنا وقالت:

ـ صباح الخير.رفع عمرو ومالك أعينهما ليريا من حيّاهما الآن، وما إن وقعت أعينهما عليها حتى اعتلت الصدمة ملامحهما، نعم! علمتُ ذلك من عدم ردهما عليها التحية.

أما أنا، لم أرفع عينيَّ بعد أن أيقنتُ أنها هي، أذناي لم تنسَ صوتها بعد، أو بمعنى أدق، أذناي لا تتذكر إلا صوتها ولا تصدق أنها أمامي الآن، لم أتخيل أنها ستأتي، أو أني كنت أرفض لقاءها على الرغم من اللوع والحنين إليها، علمتُ الآن أنّي كنتُ مخطئًا عندما اعتقدتُ أنها لن تستطيع أن تأتي ولن تتحمل المواجهة، ولكن هي أمامي الآن، وعلمتُ أيضًا أنني أخطأتُ عندما اعتقدتُ أني سأتحمل المواجهة، لكنني لستُ بقادرٍ حتى على أن أرفع عينيَّ إليها.

بعد لحظات قليلة من الصمت والصدمة رفعتُ رأسي وعينيَّ ورأيتها، اليوم يوم عيد لعينيَّ، أتاها الغيث بعد سنوات عُجاف، تلاقت أعيننا من جديد، لم تتغير بعد، لم تختلف ملامحها، ما زالت ملامحها بريئة وطفولية للدرجة التي تجعل من يراها يبتسم، فجأة مرّ مشهد الفراق أمام عينيَّ الآن، لطالما كان بالشيء البعيد، ولكنه أتى!_ إيه يا بنتي اتأخرتي كدا ليه؟ بقالي ساعة مستنيكي هنا عالكورنيش.

ـ معلش المواصلات كانت زحمة شوية.

ـ طب خير قوليلي كنتِ عايزة إيه؟ إيه الموضوع اللي خلاكي تطلبي إني أسيب شغلي ونتقابل هنا؟

نظرَت أرضًا قليلًا تستجمع شجاعتها لتتفوه بما جعلها تطلب رؤيتي الآن، ثم قالت:

ـ إحنا هنتجوز إمتى يا ياسين؟

اندهشتُ كثيرًا وقلتُ لها:

- هو دا الموضوع؟
- أيوة، ورُد عليا هنتجوز إمتى؟
- لما أكون جاهز إن شاء الله.
- أيوة يعني إمتى؟ إديني معاد محدد.
- في إيه يا رُوح؟ مانتي عارفة ظروفي كويس.
- الظروف طوّلت أوي، وعلاقتنا بقت رخمة جدًّا، ما فيهاش جديد.

اعتلت الصدمة ملامحي، ماذا تقول؟! وكأن الواقفة أمامي فتاة أخرى غير التي أُحبها.

- قصدك إيه؟
- قصدي إني تعبت ومليت، أنا زهقت خلاص وفاض بيا، علاقتنا واقفة مش بتتحرك، وظروفك برده واقفة مش بتتحرك.
- أنا بعمل اللي أقدر أعمله عشان نقدر نتجوز، ما فيش حاجة في إيدي أعملها أكتر من اللي بعمله، وأنا مش متأخر عن حاجة، وبعدين أنتِ عارفة ظروفي دي من الأول ورضيتي بيها.
- أيوة كنت عارفة ورضيت بيها، بس ما كنتش فاكرة إنها هتطول بالشكل السخيف دا، ودايمًا بتبدّي إخواتك على نفسك، ولو احتاجوا فلوس بتصرف ولا بيهمك، ولا

بيهمك إن الفلوس دي بتتعَب عشان نعمل بيها بيتنا، مش عشان تصرف بيها على إخواتك.

بصدمةٍ قلتُ:

ـ أنتِ بتقولي إيه؟ أنتِ عايزاني أبخل على إخواتي؟

ـ والله تبخل ما تبخلش دي مشكلتك مش مشكلتي، أنا اللي عايزاه دلوقتي إنك تحددلي معاد وتقولي هنتجوز إمتى._ أنتِ بتكلميني كدا إزاي؟ إيه اللهجة دي؟ كلامك ليه بقى شبه اللي بيقوله باباكي؟

ـ عشان اكتشفت إنه كان معاه حق.

وهنا الصدمة اخترقت قلبي أيضًا، لا أُصدق ما تسمعه أذناي، لا أُصدق أنها رُوح، وكأنه حُلم وليس واقعًا، بل كابوسًا، أندِمَتِ على هذا الارتباط اليوم؟

ـ رُوح، أنتِ واعية أنتِ بتقولي إيه؟

ـ جدًّا، أنا واعية جدًّا يا ياسين وقاصدة كل كلمة بقولها.

ـ رُوح، إحنا بنحب بعض، أنتِ نسيتي؟ أنتِ..

قاطعتني قائلةً:

ـ أنا زهقت من فقرك، مليت منه خلاص.

وكأن دلوًا مليئًا بالثلج سُكب فوقي، الصدمة جعلتني أشك في أذنيَّ، أتعايرني بفقري؟! كيف؟ كيف تغرز سكينًا حادًّا في فؤادي؟ كيف هُنتُ عليها وقصدت إيذائي؟!

ـ أنتِ بتقولي إيه؟!

أخذَت نفسًا عميقًا ومن ثم أخرجته وقالت:

- أنا بقول إني عايزة أتطلق يا ياسين، أنا زهقت ومش عايزة أكمل معاك.
- أنتِ بتهزري، مش كدا؟_ أنت شايف إني بهزر؟
- ما هو مش معقول تكوني بتتكلمي بجد، عايزانا نتطلق يا رُوح؟
- أيوة يا ياسين، مش عايزة أكمل.

قلتُ بعدم استيعاب:

- لأ، أكيد بتهزري، نتطلق بعد كل اللي مابيننا دا؟ دا إحنا عدينا بكل الظروف الصعبة سوا، وعمرك ما اشتكيتي، بالعكس، كنتِ كل مرة بتمسكي في إيدي أكتر، كنتِ كل مرة بتحبيني أكتر، إيه اللي حصل؟
- قلتلك تعبت خلاص، استحملت كتير وخلاص جبت أخري، فقرك دا بقى بيضعفني أكتر، والناس كلها بقت بتتريق عليا وعلى إني مرتبطة بواحد فقير وما يستحقنيش، الحب مش كل حاجة يا ياسين، مش بيبني بيوت، مش بيغني، وأنا تعبت من الفقر، فيا ريت بالذوق كدا ومن غير أي شوشرة تطلقني.

ما زِلتُ غير مستوعب حديثها، أكملت قائلة:

- هخلي بابا يجيب المأذون النهاردا، هنستناك على الساعة تمانية، يا ريت ما تتأخرش، وما تقلقش، هخلي بابا هو

اللي يحاسب المأذون، إحنا عارفين الحالة مش قد كدا يعني.

وهنا تخلّيتُ عن صدمتي واحتقن وجهي بالغضب، ازدادت إهانتها لي، فأجبتُها قائلًا:

ـ ما كنتش متخيل إن أنا مخدوع فيكي للدرجة دي، وبعد الكلام اللي قُلتيه دا أنا اللي مش عايزك.

ردّت بسخرية قائلة:

ـ طب والله كويس أوي، وما دامك مش عايزني بقى ما تتأخرش عن المعاد؛ عشان ما ابقاش على ذمتك أكتر من كدا، وكمان عشا...

قاطعتُها قائلًا:

ـ أنتِ طالق يا رُوح، ومن النهاردا مش عايز أشوف وشك ولا أقابلك حتى لو صدفة، مش هيحصلك طيب وقتها.

لم أنتظر حتى أرى ردة فعلها على حديثي، بل استدرتُ ورجعتُ أدراجي إلي حيث جئت، إلى نقطة الصفر من جديد، الصفر لرُوحي وبداية وجع جديد لا ينتهي.

أفقتُ من ذكرياتي الأليمة التي لا تنتهي، وكيف تنتهي والذكرى نفسها تجسدت أمامي من جديد وردّت إليّ كل وجع وكل حزن حاربته في السنوات الماضية، وأصبح قلبي الآن ينبض بهذه الآلام دفعة واحدة، وكأن لحظة الفراق بيننا كانت بالأمس.

ـ صباح النور.

قلتُ لها بابتسامة، فقالت:

ـ إزيك يا بشمهندس؟

قد فارقني حُسنُ الحال مذ فارقتِني.

ـ كويس الحمد لله، إزيك أنتِ يا.. مدام رُوح؟

ـ الحمد لله.

ـ إتفضلي في المكتب بتاعي.

كانت الصدمة ما زالت تعتلي وجه مالك وعمرو ورافقها الارتباك، كحالي أنا أيضًا على الرغم من صلابة ملامحي ومظهري الجاد، تقدمتُها إلى المكتب وتركتُ لها مساحة لتدلف أولًا، ومن ثم أنا ومن بعدي عمرو ومالك، جلستُ وجلسَت هي أمامي وظل عمرو ومالك واقفين.

ـ نورتينا يا مدام.

بابتسامة قالت:

ـ بنورك يا بشمهندس.

أكثر شيء يفتت قلبي وروحي هي هذه الابتسامة وهذا الثبات الذي تتحدث به، وكأن مرارة الشوق والفراق قد تذوقتهما أنا وَحدي.

ـ خير يا بشمهندسة؟

ـ خير إن شاء الله، طبعًا حضرتك ناوي تدخل الصفقة الجديدة بتاعة الشركة الألمانية، صح كدا؟

ـ أكيد.

ـ وعارف إن شركة السيوفي والهواري اتحدوا.

ـ أيوة عرفت.

ـ طبعًا بكدا شركتي وشركتك من قبل ما ندخل الصفقة خسرانين، فأنا جاية أعرض على حضرتك إننا نتحد إحنا كمان، وأظن كدا نسبة المكسب والخسارة بيننا وبينهم متساوية، وهيبقى الكسبان الشاطر بيننا، فإيه رأيك؟

تهللت أسارير عمرو ومالِك، ها هي قد جاءت وجلبت معها أمل المكسب من جديد، نظرتُ إليها للحظات ومن ثم أجبتُ:

ـ مقابل إيه؟

بتعجبٍ ردّت:

ـ أفندم؟! يعني إيه مقابل إيه؟

فقلتُ لها:

ـ مقابل إيه نتحد وشغلنا يبقى واحد؟ أنا شركتي كبيرة، مش أي حد يشتغل معاها.

صُدم الواقفان كثيرًا ونظرا إليّ بغضبٍ شديد، أما هي فابتسمت بسخرية وقالت:

ـ وأنا كمان شركتي كبيرة، ما تنساش يا بشمهندس، لو مش سامع عن شركة الصياد اسأل في السوق وهيجيلك الرد كويس أوي، وزي مانا محتاجة الشغل معاك أنت كمان محتاج الشغل معايا، وعمومًا أنا مش بفرض نفسي عليك، أنا ألف شركة تتمنى الشغل معايا، ومع ذلك أنا اخترت إني أشتغل معاك أنت، ودي لازم تكون حاجة كبيرة جدًّا بالنسبالك.

نهضت من مقعدها ووضعت يديها في حقيبتها وأخرجت كارتًا خاصًّا بها: _ دا الكارت بتاعي، وقت ما تقرر بلغني قراراك، عن إذنك.

ووضعته على سطح المكتب وغادرت، التقطتُ الكارت الخاص بها ونظرتُ إليه ولاسمها الذي باتت تحمله، رُوح الصياد! رُوحي أصبحت رُوح غيري وحملت اسمًا غير اسمي وعاشت حياةً غير حياتي.

قد توفِّي زوجها منذ سنتين في حادث سيارة، ومن بعده بأشهر قليلة توفّي أيضًا والدها بمرضٍ مُهلِك، وقد وَرثت أباها وزوجها، وامتلكت شركة الصياد الخاصة بزوجها وأصبحت تُديرها هي.

وها هي، قد مرّت السنون لتأتي وتقف أمامي فارغة من أي شعور تحمله لهذا الياسين الذي لطالما أقسمت هي على أن قلبها لن يفرُغ منه أبدًا، وقد كذِبت، ولمَّا أقسمتُ أنا أنها رُوح خُلقت لتكون في جوف ياسين فقد صدقتُ، كذبة ككذبة امرأة العزيز وصِدق كصدق يوسُف.

- زليخا كانت بتعشقه مش بتحبه بس.
- وهل دا مبرر لمراودتها له؟
- لا طبعًا مش قصدي مراودتها له، أنا قصدي إنها كانت بتحبه فليه أذِته ودخلته السجن؟ استحملت دا إزاي أصلًا؟
- هي فاكرة إنها كدا بتأدبه عشان رفضها، وهو كمان قال ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، وهي ما استحملتش، وعلى قد ما عذبته اتعذبت في حبه أضعاف أضعاف، الحب مؤذي جدًّا لما بيوصل لمرحلة العشق، وبيدمر تدمير كُلي ويعيش صاحبه طول عُمره في غفلة وكإنه سكران، وعلى رأي الدرامي لما قال:

فشاربُ الخمرِ يصحو بعد سكرته
وشاربُ الحب طول العمر سكرانا

ثم تابعتُ قائلًا: _ وزي ما اتعذب سيدنا يوسُف بسبب ظلم زليخا، اتعذبت زليخا في حبها لسيدنا يوسُف، فكان حظ يوسُف من زليخا إنها قدّت قميصه من دُبر، وكان حظ زليخا من يوسُف إنه قدّ قلبها من قُبُل ومن دُبر

كقلبي أنا أيضًا، قُدّ من قُبُل ومن دُبر، أفقتُ من ذكرياتي على صوت مالِك قائلًا بضيق:

ـ إيه اللي أنت قُلته دا؟

وضعتُ الكارت على المكتب ونظرتُ إليه ببرود قائلًا له:

ـ قُلت إيه؟

أجابني عمرو قائلًا:

ـ يعني إيه مقابل إيه تشتغل معانا؟ إحنا أصلًا كنا بنتمنى إنها..

قاطعتُه قائلًا:

ـ ما تجيش ، كنا بنتمنى إنها ما تجيش.

نظر كلاهما إليّ وعلامات الغضب على ملامحهما ولكن فضّلا الصمت على الحديث.

ـ كل واحد يروح يشوف شغله، يلا سيبوني لوحدي.

فأجاب مالِك:

ـ طب إيه؟ هتوافق ولا لأ؟

ـ هفكر.

- يعني إيه هتفكر؟ هي المسألة عايزة..

قاطعته قائلًا:

- قُلت هفكر خلاص، ويا ريت ما حدش يتدخل في المسألة دي، ويلا كل واحد على شغله.

كنتُ صارمًا في ردي مما جعلهم يزفرون تمردًا ومن ثم غادرا المكتب. وبعد ذلك غرقتُ مرة ثانية في الذكريات التي أصبحت لي حبيبًا مكروهًا، أعلم أنّي سأوافق على عرضها هذا لا محالة، ولكن أكثر شيء مخيف بالنسبة لي هو أنّي لا أعلم كيف سأستطيع الثبات أمامها طوال هذه الفترة.

وصلت حبيبة إلى مقر شركة الصياد، شركة رُوح، واتجهت إلى المصعد ومن ثم إلى مكتب أميرة الجديد المُلحق بمكتب رُوح، دلفت إلى مكتبها ببشاشتها المعهودة وقالت:

- يا صباح الخير عالقمر اللي نوّر الشركة كلها النهاردا. كانت أميرة جالسة على مكتبها شاردة في أمر ما ولم تنتبه لقدوم حبيبة مطلقًا، فتعجبت حبيبة وأعادت عليها ترحيبها من جديد ولكن لم يأتِها أي رد، فرفعت صوتها بعض الشيء، انتفضت أميرة على إثر صوتها العالي قائلة:

- إيه يا حبيبة خضتيني!

- إيه أنتِ؟ سرحانة في إيه؟ بقالي ساعة موجودة وأنتِ مش هنا.

ـ لا ولا حاجة، تعالي اتفضلي.

جلست حبيبة على المقعد أمامها وقالت:

ـ دا إيه الترحيب اللي شبه وشكوا عالصبح دا؟ مالك يا بنتي في إيه؟ ورُوح فين؟

ـ رُوح راحت لياسين الشركة.

علت الصدمة ملامحها وقالت:

ـ إيه؟ راحت لياسين؟ إزاي وليه؟

قصت عليها أميرة سبب ذهاب رُوح إلى ياسين وأمر هذه الصفقة التي من الواضح جدًّا أنها سوف تجمعهما من جديد، قالت حبيبة:

ـ أنا مصدومة!

ـ وأنا قلقانة، مش قادرة أتخيل المقابلة بينهم كان شكلها عامل إزاي بعد خمس سنين من وقت ما سابوا بعض، ويا ترى ياسين حبيبي لما شافها رد فعله كان إيه؟ اتضايق ولا فرح ولا إيه بالظبط؟

ـ دلوقتي بقى ياسين حبيبك؟

أجابتها أميرة بضيق:

ـ الله يباركلك يا حبيبة بلاش الموضوع اللي هتفتحيه دا.

تنهدت حبيبة قائلةً:

ـ براحتك يا أميرة.

وبعد ذلك عمّ الصمت بينهما بضع دقائق وقطعه وصول رُوح، وتفاجأت عندما رأت حبيبة وقالت:

ـ وأخيرًا حبيبة هانم قررت تيجي الشركة عشان أشوفها.

واتجهت إليها وضمتها باشتياق بالغ.

ـ إزيك يا حبيبة؟ وحشتيني أوي.

ردّت حبيبة بابتسامة:

ـ وأنتِ أكتر يارُوح.

ـ كدا تسبيني المدة دي كلها ولا تزوريني ولا حتى تسألي عليا؟

ردّت عليها بعتاب:

ـ يعني أنتِ اللي كنتِ بتعملي كدا يعني؟ وبعدين الفترة اللي فاتت دي كانت فترة صعبة عليا أوي في الشغل.

ـ مانا قُلتلك تعالي اشتغلي معايا أنتِ اللي رفضتي.

ـ لا يا رُوح مش هينفع، سبيني على راحتي.

ـ طيب يا ستي براحتك، المهم تعالوا نقعد في المكتب بتاعي ونتكلم، وحشتني قعدتي معاكوا يا بنات.

ثم اصطحبتهما ودلفوا إلى مكتبها ثلاثتهم، جلست على مقعدها الرئيسي وجلسا هما أمامها، وهُنا نطقت أميرة قائلةً:

ـ عملتي إيه مع ياسين؟

تلاشت إبتسامة رُوح تدريجيًّا ونظرت للفراغ بين يديها وقالت:

ـ اللي قُلتهولك بالظبط قبل ما أروحله، طلبت الشغل معاه.

ـ وبس كدا؟

قالتها حبيبة وقبل أن تُجيب لاحقتها أميرة بسؤالٍ آخر: _ وياسين قابلك إزاي؟

ومن هُنا تلاحقت الأسئلة عليها من كلتيهما.

ـ اتخانقتوا أو حاجة؟

ـ طب هو أول ما شافك عمل إيه؟

ـ إتصدم مش كدا؟

ـ قالك حاجة ضايقتك؟

ـ وأنتِ أول ما شوفتيه كنتِ عاملة إزاي؟

ـ وهو كان..

قاطعتها رُوح قائلة:

ـ كان واحشني أوي، واحشني أوي يا أميرة.

صمتت الجالستان أمامها ينظران إليها!

ـ بقالنا خمس سنين ما اتقابلناش، ما اتغيرش خالص.

ثم نظرت لنقطة ما في الفراغ أمامها واسترسلت كلامها قائلةً:

ـ ما بيعرفش يكون مغرور أبدًا، وكل حاجة جواه لسة بتبان في عنيه.

بابتسامة قالت حبيبة:

ـ يا سيدي، شوفتي إيه في عنيه؟

بادلتها رُوح الابتسام وأجابتها قائلةً: شوفت حاجات كتيرة أوي، منها إنه زعلان، مش عايز يسامحني، بس عنده حق، اللي أنا عملته فيه مش شوية، مش شوية خالص، مش قادر ينسى اللي أنا عملته فيه.

ـ وبعدين؟ عملتوا إيه؟

قالت أميرة.

تنفست رُوح الصعداء وقصّت عليهما ما حدث منذ لحظة دخولها شركته إلى أن خرجت.

- تفتكري هيوافق؟

قالت حبيبة، ولكن ردّت عليها أميرة قائلةً:

- أيوة هيوافق، هو محتاجها برده زي ما رُوح محتاجاه، عن إذنكوا أنا هقوم بقى عشان أشوف شغلي.

ونهضت من مجلسها وغادرت، نظرا لبعضيهما بعد خروجها فقالت حبيبة:

- حاطة نَفسها بين نارين ومش عايزة تختار.
- قُلتلها بلاش تيجي تشتغل معايا عشان ياسين، وقُلتلها ما تعرّفش حد في البيت إنها لسه على علاقة بيا أو ما نتكلمش أصلًا لحد ما نشوف أنا وياسين هنوصل لإيه، بس أميرة دماغها ناشفة وبتقاوح، ومش بتحب تخبي حاجة عن ياسين.
- وأنتِ ناوية توصلي لإيه مع ياسين؟ ناوية تقوليله الحقيقة؟

نظرت إليها وصمتت بُرهة ومن ثم قالت:

- مش عارفة، أصل إزاي وليه وإمتى؟ والحقيقة دي اللي خلّتني ما اتجوزهوش زمان هل هي مُقنعة بالنسباله؟
- قولي أنتِ، أنتِ اللي عارفة ياسين أكتر، ولسه قايلة إنه ما اتغيرش
- من غير كلام يا حبيبة، ما لهاش لازمة الحقيقة اللي تعبانا كلنا دي.

لا زالت تشعر بالضيق، لا زالت تتردد في الاختيار وإن كان أمر الاختيار محتومًا ومعروفًا، كانت تود ألا تخسر كليهما، أخاها وصديقتها، أخاها الذي لم تعده يومًا أخًا، بل أبًا، بل أكثر، لم يقسُ عليها يومًا، ولم يبخل عليها يومًا، بل كانت دائمًا طفلته المدللة، أميرته، أكثر الأشخاص حبًّا لقلبه، لطالما كان قلبها يشتعل بالغيرة مذ علمت أنه أحب غيرها، لا تحتمل حتى مجرد الحديث عنها، كانت تراها امرأة الأب التي سحرت لوالدها وستأخذه منها للأبد، فكانت دائمًا تنسحب بعيدًا عند رؤيتها أو أثناء حديثه عنها، وعندما شعر ياسين بنفورها من رُوح خلق شيئًا جميلًا بينهما، خطط لجعلهما أصدقاء، وخصيصًا أن طفلته هذه لم يكن لها صديق يومًا، فأحب أن تجمعهما رابطة الصداقة، أولًا ليمحو أثر الغيرة من قلب أخته ويجعلها تحبها كما أحبها هو، وثانيًا لتلتقي برفيقة تشاركها تفاصيل حياتها التي لطالما افتقدت لذتها، وقد نجح في جعلهما أصدقاء، نجح للحد الذي جعل أميرة تغار أيضًا علي رُوح من أخيها، وبعد ذلك تعرفت على حبيبة من رُوح، كانت صديقتها منذ الصِغر وجارتها أيضًا، وبعد ذلك توطدت العلاقة بين أميرة وحبيبة أكثر عندما بدأت والدة حبيبة العمل في بيتها.

كانت علاقة ياسين ورُوح سوية، أحبتها أميرة كما أحبت أخاها ورفيقتيها، ولكن الشيء الذي حطم هذه العلاقة هو ‹‹الفراق››، وكما حُكم عليهما بالفراق حُكم على أميرة أيضًا، كيف ستظل علاقتها قائمة باللتي حطمت قلب أخيها؟ أبيها؟ على الرغم من محاولات ياسين بألا تنقطع صداقة أميرة بها وأن تفصل أميرة بين علاقة أخيها برُوح وعلاقتها هي برُوح، ولكن لم تستجب له وقطعت كل ما يربطها برُوح، حتى

فُوجئت ذات يوم أنها تُهاتفها، كان الأمر صادمًا جدًّا لها، كيف تتجرأ وتتصل بها بعد فِعلتها اللعينة؟ ردت عليها وكانت تود أن توبخها ولكن رُوحًا قد صدمتها بحقيقة فعلتها هذه، خفق قلب أميرة، رق قلبها لحالها ولحال أخيها أيضًا، شدّدت رُوح عليها ألا تبوح بسرّها حتى أقسمت لها أميرة، وعادت من جديد علاقتها برُوح، كان شيئًا مخزيًا بالنسبة إليها أن تعترف أمام الجميع أنها ما زالت تربطها علاقة برُوح، خصيصًا بعد ما فعلته بياسين، ولكن ياسين دائمًا كان يقف أمام من يوبخها أو يعاتبها، وأن صداقتهما لا تزعجه بالمرة، وأنه ليس من العدل أن يفترقا بسبب ما حدث بينهما، فاختارت الإثنين معًا، اختارت صفيهما معًا، أخاها الذي لطالما عانى وقاسَى قلبه، ورفيقتها التي عانت أيضًا وأن موضعها في الحقيقة موضع المظلوم.

أفاقت من شرودها على صوت رنين هاتفها، أخرجت هاتفها من حقيبتها ورأت اسم المتصل، كان مالِكًا، أجابته وصوتها يحمل بعض الحزن:

- ألو.
- إيه يا حبيبتي إزيك عاملة إيه؟
- الحمد لله تمام؟
- أخبار أول يوم شغل إيه؟
- ما لحقتش أعمل حاجة أو أتعلم حاجة.

بتعجبٍ قال:

- ليه يعني إيه اللي حصل؟

- المفروض رُوح هي اللي تكون معايا وهي اللي تعلمني، وهي ما كانتش موجودة من الصبح في الشركة، كانت عند ياسين.
- وليه هي اللي تعلمك؟ ليه مش السكرتيرة القديمة؟
- عشان أنا اللي طلبت منها كدا. _ طب إيه؟ هي قالتلك اللي حصل لما جت هنا؟
- أيوة قالتلي.
- طب تمام.

وصمتا معًا بضع ثوانٍ حتى قال مالِك:

- مالك يا أميرة؟ أنا حاسس إنك مش طبيعية، فيه حاجة؟
- ما فيش حاجة أنا كويسة.
- لا مش كويسة، أنتِ فين دلوقتي؟
- في الكافيه اللي جمب الشركة.
- بتعملي إيه؟ مش في الشركة ليه؟

ردّت بضيق:

- مش عايزة أكون هناك، مش قادرة أشتغل دلوقتي.
- طب بقولك إيه، أنا جايلِك.
- هتيجي تعمل إيه يا مالِك؟ خليك أنا كويسة.
- طب عادي إيه المشكلة؟ أنا في البريك دلوقتي هجيلك ونتغدا سوا.
- ما لوش لازمة يا مالِك، أنا كدا كدا شوية وهرجع الشركة، يلا سلام دلوقتي.

- مع السلامة.

أغلق الهاتف معها وعزم في قرارة نفسه أن يذهب إليها، ويعلم أنها ستظل في مكانها ولن تعود إلى الشركة مرة ثانية، هي دائمًا عندما تكون حزينة تُفضل الجلوس بمفردها، ولكن هي لا تهون عليه، خرج من مكتبه وصادف عمرًا في طريقه، فقال له:

- أنت رايح فين؟
- لأميرة.

فتعجب عمرو وقال:

- رايح لها شركة رُوح؟
- لأ، هي مش في شركة رُوح دلوقتي، هي قاعدة في كافيه جمب الشركة، تقريبًا متضايقة من اللي حصل النهاردا وزعلانة على ياسين إنه أكيد المقابلة اللي حصلت بينه وبين رُوح وجعته، فهروح لها أشوفها.
- هي أميرة دي بتحس؟ هو لو كان يهمها ياسين كانت لحد دلوقتي على علاقة برُوح؟

صمت مالِك بُرهة يفكر في شيء ما، ثم أجابه قائلًا:

- أميرة تعرف حاجة ما حدش يعرفها غيرها، عشان كدا هي لسه على علاقة برُوح.
- أيا كانت الحاجة اللي تعرفها أميرة ماتبررش لها إنها تكون لسه على علاقة برُوح، على الأقل بالنسبالي.

- ما دام ياسين موافق وراضي ما حدش فينا يقدر يقول حاجة، وعلى العموم دا مش موضوعنا دلوقتي، يلا أنا ماشي.
- يعني أنت هتروح لأميرة دلوقتي وياسين مش هيجي يتغدي معايا، هروح أنا لوحدي أتغدا يعني؟

كان مالِك قد مضى من أمامه فلم يجبه، فأجاب هو نفسه:

- ااه هروح لوحدي عادي إيه المشكلة؟

ومن ثم لحق بمالِك وخرجا معًا من الشركة، واتجه مالكِ إلى حيث عزم، واتجه عمرو إلى المطعم الذي اعتاده هو وأخوه ومالِك.

جلست حبيبة ورُوح معًا يتبادلان أطراف الحديث باستمتاع شديد، حتى نظرت حبيبة في ساعة هاتفها ومن ثُم صُدمت وانتفضت من مقعدها قائلةً:

- يانهار أبيض!

فقالت رُوح:

- إيه يا بنتي مالك فيه إيه؟
- أنا اتأخرت على شغلي، أنا واخدة إذن ساعتين بس، أنا لازم أمشي.
- وواخدة إذن ساعتين بس ليه؟ هلحق أنا أشبع منك في الساعتين دول؟
- اللي قدرت آخدهم بقى، يلا سلام أنا ماشية.
- طب استني أوصلك.

وهُنا ظهر التوتر والارتباك على وجهها وقالت:

- لأ توصليني فين بس ما تتعبيش نفسك.
- تعب إيه بس اللي بتتكلمي عنه، ما فيش تعب ولا حاجة.
- لأ يا رُوح معلش خليكي، أنا همشي أنا، ما فيش داعي توصليني، يلا مع السلامة بقى.لم تُمهلها حبيبة للرد عليها، فأخذت حقيبتها وانطلقت سريعًا خارج مكتبها، بل خارج الشركة بأكملها.

وكأنها ستُذل إذا علمت رُوح وأميرة أنها قد رُفدت من عملها ولم تجد لها عملًا غير في مطعم لا يناسب مؤهلاتها، كانت تعلم أنّ رُوحًا لن تتركها تعمل في مطعم كهذا، وبالتأكيد كان ستتطلب منها العمل معها في شَركتها الخاصة، ومن الممكن أيضًا أن أميرة كانت ستعرض عليها العمل في شركة أخيها، ولكن حبيبة لم تُرد أن تشعر بالشفقة من أيٍّ منهما، خصوصًا لعلمهما أن حبيبة ليس لها في هذه الحياة غير والدتها التي تعمل خادمةً منذ زمن بعيد، لم تكن تشعر بالحرج أبدًا من والدتها أو حتى من عملها، ولكن لم تكن تحب أن ترى نظرة شفقة أو سخرية في أعينِ الناس لها ولوالدتها، ومنذ صغرها أقسمت في قرارة نفسها أنها ستعمل وتسعى وتجتهد دائمًا في عملها حتى تستطيع أن تتحمل مصروفات البيت وتجعل والدتها تستقيل من عملها إلى الأبد، ولكن حتى هذه اللحظة لم تستطع حبيبة تحقيق أي شيء من أمنياتها.

دخل عمرو المطعم وجلس إلى طاولة وطلب غداءه، وبعد ذلك ظل يتجول بعينيه في المكان يبحث عنها، تلك التي تشغل باله، دام طويلًا حظر التجول هذا حتى تعبت عيناه، فشعر بالخذلان، وتوقع أنها لم تأتِ لعملها اليوم، لعلها مريضة، لعلها استيقظت متأخرة، أو لعلها تعلم أن غيابها سيشغل تفكيره ويجعله يظن كل الظن ليجد مبررًا لغيابها، لعلها علمت فغابت.

وصل مالِك إلى حيث توجد أميرة، دخل المكان وظل يبحث عنها بعينيه حتى رآها، فاتجه إليها، أما هي عندما رأته يقترب منها ابتسمت بسخرية، جلس أمامها مبتسمًا قائلًا:

- ما رجعتيش الشركة ليه زي ما قُلتيلي؟
- عشان كنت عارفة إنك جاي وإنك مش هتسيبني كدا. _ وحشتيني.

ابتسمت قائلةً:

- جاي ليه بقى؟ مش قُلتلك ما تجيش؟
- جاي أشوف إيه اللي مزعلك وأكسره، ما هانش عليا أسيبك وأنا عارف إنك زعلانة.
- مش زعلانة.
- أمال مالِك متضايقة ليه كدا؟

صمتت ولم تُجبه، فقال:

- إتوجعتي على ياسين، صح؟

نظرت إليه بحزن ومن ثم أومأت برأسها على صدق ماتفوه به.

- ما تقلقيش ياسين كويس.
- رُوح برده قالتلي كدا، بس ما صدقتهاش؛ لأن هو مش كويس ولا هي كمان تصدق.

بتعجبٍ ردّ عليها:

- ولا هي إزاي مش فاهم؟

نظرت إليه وتداركت سريعًا ما قالته، لا يجب أن يعلم أحد أن روحًا ما زالت تهوى ياسين، فإن آخر شيء فعلته معه لا يدل على أنها قد أحبته لحظة من عمرها، أجابته بارتباك:

- أقصد.. أقصد إن روح اتضايقت من طريقة كلام ياسين معاها، فيعني هي مش كويسة، المهم دلوقتي ياسين.
- عادي يا رُوح هيعدي زي ما بيعدي حاجات كتير.
- رُوح مش حاجة، ومش أي حد عشان تعدي زي اللي بيعدوا، كانت عدّت من زمان، ولو عدت دلوقتي مش هتعدي بعدين في حالة لو وافق يشتغل معاها.
- أيًّا كان اختيار ياسين فهو حر، وأكيد هيبقى قد اختياره وهيستحمل.
- أيوة بس أنا متضايقة، أنا حاسة إني السبب في وجع ياسين، حاسة إن أنا ضده.
- ليه بتقولي كدا؟
- عشان أنا لسه على علاقة برُوح.
- خلاص، اقطعي علاقتك بيها.

ردّت بضيق قائلةً:

- أقطع علاقتي بيها إزاي بس؟ أسكت يا مالِك خلاص.
- مانا مش فاهم أنتِ عايزة إيه، أنتِ اللي في إيدك تريحي نفسك بس أنتِ اللي مش عايزة.

صمتت!

- سِكتي ليه؟

نظرت إليه ثم تابعت:

- هو ممكن ياسين يكون متضايق من شغلي مع رُوح بس رافض يقولي عشان ما يزعلنيش؟
- ممكن؟ ياسين يعمل أكتر من كدا. طب أنت رأيك إيه؟
- رأيي معروف واتكلمنا فيه كتير، وحقيقي أنتِ لو كنتِ في بيتي دلوقتي كنت همنعك تشتغلي مع رُوح.

أبعدت نظرها عنه وصمتت فتابع هو قائلًا:

- فيه سر يا أميرة، مش كدا؟ أنتِ تعرفي حاجة عن رُوح ما حدش يعرفها غيرك.

نظرت إليه بدهشة وابتلعت ريقها بقلق فتابع:

- أكيد أنا واثق من دا، وإلا ما كنتيش رجعتي علاقتك بيها بعد ما سابت ياسين، الكل فاكر إنك رجعتي تكلميها تاني عشان ما لكيش صحاب غيرها وإنك قدرتي تسامحيها، لكن أنا ما صدقتش، أنا سايبك براحتك ومش هضغط عليكي لحد ما تيجي أنتِ وتقوليلي اللي مخبياه.

تلألأت الدموع في عينيها، تمنت للحظة لو أنها لم تعلم شيئًا وظلت بصف أخيها، ولكن ما ذنب صديقتها؟ قد عانت أيضًا. أمسك مالِك يدها وقبّلها، ثم قال:

- ليه الدموع دي بس؟
- متضايقة أوي، مخنوقة، حاسة إني لوحدي.
- أنا جمبك، أنا دايمًا جمبك، دايمًا سندك وضهرك، مش عايزك أبدًا تزعلي ولا تضايقي، كل حاجة تهون قدام زعلك والله، ولا حاجة تستاهل تزعلي عشانها، الدنيا تصغر قدام دمعة تنزل من عيونك.

بابتسامة قالت:

- بقيت شبه ياسين في كلامه.

ردّ ابتسامتها بابتسامة وأجابها:

- ودي حاجة حلوة ولا حاجة وحشة؟
- حلوة طبعًا، أمال أنا حبيتك ليه؟
- بس أتمنى إنك ما تكونيش شبه رُوح.

اختفت ابتسامتها تدريجيًّا ثم قالت له:

- أنا لو بقيت زي رُوح هضمن إنك تحبني العُمر كله، وإن حبي مش هيفارق قلبك أبدًا، أصلًا قلبك مش هيبقى طبيعي ولا له لازمة لو أنا مش فيه، يعني دي حاجة حلوة بالنسبالي.
- وأنتِ لو بقيتي جمبي ما بعدتيش مش هتضمني دا؟ لازم تبعدي عشان تتأكدي؟

ـ أكيد لأ، بس أصل البُعد بيبين القلوب على حقيقتها، يا ينسّي يا يقسّي، لو نسيت يبقى ما كنتش بتحب بجد، واللي بتحبه كان مجرد شخص عابر في حياتك وعرفت تتجاوزه، لو قِسي يبقى من كتر العذاب اللي دوقته ومن كتر الوجع قلبك زهق، فبتتبدل في الحب ١٨٠ درجة، زي ياسين كدا، بس برده مهما اتبدل وقِسي ما نسيش، يعني لسه بيحب، السؤال هنا بقى، إمتى البعد بينسّي وإمتى بيقسّي؟

لم يُجبها مالِك وظل ينظر إليها، أما هي فأخذت تتجول بعينيها في كل مكان وكأنها تفكّر، ثم أجابت نفسها قائلةً:

ـ أكيد بينسّي لما يكون فيه سبب واضح للبُعد والفراق، عشان كدا بيعذب فترة وأثره بيروح، لكن بيقسّي لما يختفي السبب ويجي البعد والهجر فجأة، فبيدوم الوجع وأثر العذاب بيفضل معلّم في القلب.

أنهت جملتها ثم نظرت لمالِك وقالت:

ـ مش كدا؟

قابل سؤالها بابتسامة، ثم أجابها قائلًا:

ـ مش قُلتلك أنتِ عارفة حاجة ما حدش يعرفها.

فقد عمرو الأمل في أن يراها اليوم وتناول غداءه في يأس شديد، شغلت تفكيره بشكل كبير وهذا كان يزعجه كثيرًا، هي لا تعنيه في شيء

حتى يفكر بها لهذه الدرجة، هي فتاة كأي فتاة، لِما كل هذا اليأس والغضب الذي يشعر به؟ لعل لأنه اعتاد أن يراها دومًا، قطع تفكيره وجودها أمامه فجأةً، خفق قلبه للحظات عندما رآها وهي تدلف من باب المطعم مهرولة، تقابلت أعينهما للحظة ومن ثم قطعت هذا اللقاء وهرولت من أمامه لتُتابع عملها، احتلت البسمة وجهه سريعًا وأكمل تناول غدائه بعد أن احتلت السعادة محل اليأس داخله، مرت عدة دقائق حتى سمع صوتًا مرتفعًا يأتي من خلفه، التفت لمصدر الصوت فرأى حبيبة واقفة مطأطئة رأسها ورئيسها بالعمل واقفٌ أمامها يبوبخها على تأخيرها، ولكن كان التوبيخ به شيء من الإهانة والقسوة، مما أزعج عمرًا كثيرًا وجعله غاضبًا.

- أنتِ فاكراها وكالة من غير بواب؟ تيجي وقت ما تعوزي وتمشي وقت ما تعوزي؟
- أنا آسفة يافندم والله التأخير دا ما كانش مقصود.
- مقصود ولا مش مقصود دي مش مشكلتي، أنتِ متأخرة نص ساعة زيادة عن الإذن اللي طلبتيه، ودا مش مسموح هنا ومخصوملك نص شهر على التأخير دا.

ردّت بصدمة:

- نص شهر؟ ليه يا فندم؟ دا كتير أوي.
- أنتِ تحمدي ربنا إني خليتها نص شهر بس، ويلا امشي من قدامي دلوقتي شوفي شغلك، يلا.

شعرت بالحزن الشديد، لِما كل هذه الإهانة؟ لِما هذا الجزاء القاسي؟ لم تفعل شيئًا يستحق هذا، ولكن ليس بيدها أي شيء تفعله،

تنهدت بشدة وكانت ذاهبة لتباشر عملها، ولكن فجأة رأت عمرًا يقترب منها ومن رئيسها الواقف أمامها، ووجّه حديثه لرئيسها قائلًا:

ـ مساء الخير.

التفت إليه الرجل وردّ عليه قائلًا:

ـ مساء النور، أهلًا يا فندم، أي خدمة؟

بعد هذه التحية كانت حبيبة ذاهبة لتباشر عملها، ولكن أوقفها عمرو قائلًا لها:

ـ ثانية واحدة من فضلك.

علت الصدمة وجهها، ماذا يريد؟! وقفت وانتظرت ما سيقوله أو يفعله، أدخل عمرو يده في جيب بنطاله وأخرج محفظته الخاصة ومنها هويته الشخصية ووجّهها له ليريه من يكون.

ـ أنا عمرو رأفت الزيني، تسمع عني؟

نظر الرجل إلى بطاقته الشخصية ثم نقل بصره له قائلًا:

ـ ااه طبعًا يا فندم، حضرتك صاحب شركة الزيني اللي جمبنا هنا، حضرتك وأخو حضرتك أشهر من النار على العلم، وشرف للمكان يا فندم إنكوا بتشرفونا هنا كل يوم.

أومأ عمرو له برأسه قائلًا:

ـ تمام، أنت تعرف إني ممكن أقفلك المكان دا بسهولة؟ ولو عايز أحبسك هحبسك برده؟

صُدم الرجل كثيرًا وتوترت ملامحه قائلًا:

ـ ليه كدا بس يا فندم؟ هو حصل..

قاطعه قائلًا:

- أسلوبك في الكلام مع الآنسة وإهانتك ليها بالشكل دا وعلى مسمع من بعض الزباين وبالطريقة المُهينة دي يخليني أعمل كل اتصالاتي وامشي في كل الإجراءات اللي تخليني أقفلك المطعم اللي أنت فرحان بيه دا، وأظن فيه زباين هتشهد على إنك رئيس عمل مستبد وبتهين الموظفين اللي عندك، ودا كله عشان نص ساعة تأخير وفوقهم جِزا نص شهر! هي مش عبدة عندك عشان تكلمها بالطريقة دي، هي محتاجالك بنفس الدرجة اللي أنت محتاجلها بيها، يعني ما حدش له جمايل على حد، إيه رأيك بقى؟ أقفلك المطعم ولّا..

ازداد قلق الرجل كثيرًا وردّ عليه قائلًا:

- ولّا؟! ولّا إيه يا فندم؟
- ولا تلغي الجِزا اللي اديته للآنسة وهي تروح تكمل شغلها وأنت تباشر شغلك عادي؟

ضحك الرجل وكأنه وجد طوق نجاته وأومأ برأسه عدة مرات مواقفًا على ما قاله عمرو، وقال:

- اللي تؤمر بيه يا فندم، اللي تؤمر بيه.

أومأ برأسه له وبعد ذلك تركه وغادر المطعم عائدًا إلى عمله من جديد، أما حبيبة فذهبت وتابعت عملها وابتسامتها لا تُفارق وجهها، هذه أول مرة في حياتها تجد من يدافع عنها ويأتي لها بحقها، لأول مرة لا تخاف، ظلت طوال اليوم فرحة ومبتسمة على غير عادتها.

أما أنا..

جلستُ طوال اليوم في مكتبي صامتًا ساكنًا، لا أخلو منها ومن التفكير فيها ومن التفكير في قراري المعروف، انتهى اليوم العملي وخلت الشركة من كل العاملين، كنت آخر شخص يخرج منها، وتجوّلت ساعاتٍ طويلة في شتى الشوارع حتى مللت ورجعت البيت، كان البيت هادئًا على غير العادة، وجدتُ عمرًا جالسًا على الأريكة وواضعًا على قدمه جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به ‹‹اللاب توب››، وبجواره أميرة جالسةً في صمت وتبدو على وجهها معالم الحزن.

ـ مساء الخير.

ألقيتُ عليهما التحية، رفع عمرو نظره إليّ وأميرة أيضًا وردا التحية.

ـ مساء النور.

ـ إيه مالكوا قاعدين ليه كدا؟ وفين ماما؟

ـ فوق في أوضتها.

ردت أميرة، فسألتها:

ـ فوق ليه؟ فيه حاجة حصلت؟ تعبانة هي ولا حاجة؟

ـ أصلها بتعيط.

بصدمة قلتُ: _ بتعيط؟ ليه خير؟

ضحك عمرو ونظر إلي قائلًا:

ـ أصل إسراء اتخطبت.

نظرتُ إليه بدهشة وانفجرتُ ضاحكًا بعدها.

ـ بجد؟

ـ اه والله، وماما فوق قلباها مناحة وحاولت أدخل أكلمها طردتني برا الأوضة وقالتي مش طايقة أشوف وشك.

أجبتُه وأنا أضحك قائلًا:

ـ معلش معلش، يومين وهتهدا_ مش فاهم أنا إسراء دي عاملة لماما إيه_ يا سيدي ربنا يسهلها ويسهلنا، المهم أنا هطلع أشوف ماما وبعدين هدخل أوضتي أنام، يلا تصبحوا على خير.

ـ إيه أنت مش هتتعشا؟

قالتها أميرة فأجبتها مبتسمًا:

ـ لا يا حبيبتي أنا مش جعان، تصحبي على خير.

مررتُ من أمامها ولكن أوقفتني مرة ثانية قائلةً:

ـ طب ياسين، فاضي نتكلم شوية؟

قلتُ لها:

ـ خير فيه حاجة؟

ـ لأ ما فيش، بس كنت عايزة أتكلم معاك شوية يعني.

ـ طب تعالي.

وأخذتها واتجهنا لغرفة المكتب الخاصة بي، دلفتُ إلى الغرفة ودلفت هي ورائي وجلستُ أمام مكتبي وجلست هي أمامي.

ـ خير يا أميرة فيه إيه؟

كان التوتر ظاهرًا جليًّا على وجهها، يبدو أنها مترددة وخائفة بعض الشيء.

ـ إيه يا أميرة فيه إيه؟ مالِك مضايقك ولّا حاجة؟

ابتسمت وردت:

ـ لا أبدًا بالعكس.

ـ أمال مالكِ؟

تنهدت بشدة قائلةً:

ـ مقابلتك كانت عاملة إزاي النهاردا مع رُوح؟

نظرتُ إليها بغموض ورجعت بظهري للخلف.

ـ ليه بتسألِيني السؤال دا؟

طأطأت رأسها أرضًا وقالت:

ـ عايزة اتطمن عليك بس.

أجبتُها بابتسامة:

ـ أنا كويس يا أميرة.

ـ بجد؟

ـ أيوة ما تقلقيش.

صمتت لثوانٍ، ثم قالت:

ـ لسه بتحبها يا ياسين إزاي بعد كل دا؟ إزاي ما عرفتش تكرهها؟

ابتسمتُ على الرغم من الوخزة التي أصابتني في قلبي وأجبتها:

ـ عارفة؟ أنا أكتر حد بحبه في حياتي هي رُوح، وأكتر حد بكرهه في حياتي برده هي رُوح، هي كل حاجة ونقيضها في قلبي، هي المُر اللي في حياتي اللي مش عارف أدوق غيره، وهي الحلو اللي في حياتي اللي مش طايله، هي أمَر ما في الحلو وأحلى ما في المُر، هي اللي خلت عندي أمل

في الحياة، خلتني إنسان متفائل، وفي لحظة خلت حياتي كلها يأس وزرعت في قلبي الاكتئاب، عارفة؟ أنا كنت بحس إن قلبها كانت نبضاته بتدق في قلبي، عايش بيها يعني، لكن لما مديت ليها قلبي مسكته وعصرته، كانت ضي عيوني، سلبت الضي وسابتلي عيوني، عمتني، عمتني عن كل البشر إلا هي، عمري ما كنت بزعل منها، ابتسامة عنيها كانت بتنسيني إني كنت زعلان منها، كانت بتنسيني نفسي، بتنسيني الدنيا باللي فيها، بس هي الدنيا باللي فيها، هي روحي، هي سكني، الوحيدة اللي كانت بتعرف تصبرني على اللي أنا كنت فيه، كانت بتعرف تطبطب على قلبي، أنا كنت بتكسف أشكيلها همي، هم إيه اللي يتشال وهي جمبي؟ فقر إيه بس اللي أبقى فيه وهي معايا؟ دا الفقر بُعدها والغِنى لُقاها، أنا كنت زمان غني بيها، دلوقتي أنا أفقر فقير من غيرها، ومع كل دا وبدون مقدمات منها ولا مقاومة مني سلبت حياتي! قلبي انطفى، هي اللي كانت بتفتح الورد في قلبي، لمسة منها تخليه بساتين، دلوقتي كل الورد اللي في قلبي ما دبلش، لأ دا اتحرق! وروحي زرعت فيها الوجع، تعرفي؟ أنا نفسي أنساها، بس أنا لا قادر ولا عايز أنساها، وواثق إن ربنا بعد صبر خمس سنين هيعوضني خير، والخير في لُقاها والعوض هي، وأنا مش عايز ربنا يعوضني بيها لكن نفسي تبقى هي عوضي، قعدت خمس سنين ما شوفتهاش ولا مرة، ولا صدفة جمعتنا ببعض طول الخمس سنين اللي فاتوا غير النهاردا،

كان واحشني لُقا عنيها، غلبني شوقي ليها، وما حدش عارف الشوق في القلب المكسور بيخلي القلب عامل إزاي، كسرتني ووجعتني، دبحتني وأنا واقف قدامها ويا ريتها كانت طعنتني في ضهري وأنا مش شايفها، لكن هي جابت سكينة وحطتها على رقبتي وبدأت تدبحني وعنيها في عنيا، خفت أأذيها أو أجرحها مع إن كان نفسي، لكن ما قدرتش أأذيها عشان مش هقدر أشوفها موجوعة، دموعي اللي ما نزلتش لحد نزلت عشانها هي، مهما دورت ومهما شفت بنات كتير مش هيبقوا عندي زي رُوح، هي الوحيدة اللي ملِت قلبي وعنيا ودبلتها بس هي اللي هتبقى في إيدي، لكن غيرها لأ مش هقدر، عمري وروحي كانوا ليها هي وبس ومش هيبقوا غير ليها، وعلى الرغم من إني موجوع أوي منها لكن وجعي دا بيفرحني لأنه منها، أنا قوي جدًّا قدام أي حد ممكن تتخيليه، لكن قدام رُوح أنا أضعف ضعيف، عشان كدا صعب أكرهها وصعب برده أنسى اللي عملته وأحبها، تركيبة مش مفهومة مش كدا؟

نظرتُ إليها فوجدتُ الدموع تتلألأ في عينيها فازدادت ابتسامتي، ووجدتها تقول:

ـ أنا آسفة.

اندهشتُ لاعتذارها هذا الذي كان من غير مبرر ولا سببٍ واضح.

ـ بتعتذري على إيه؟

ـ عشان حاسة إن ليا علاقة بوجعك عشان لسه أعرف رُوح، وكمان روحت اشتغلت معاها، لكن..

كانت تود قول شيء آخر لكني قاطعتها قائلًا:

ـ بتقولي إيه يا هبلة أنتِ؟ توجعيني إيه بس، أنتِ آخر حد ممكن يوجعني، ولو حصلت يبقى على قلبي زي العسل يا ست الأميرات.

نزلت دموعها ونهضت من مقعدها واقتربت مني وضمتني إليها بشدة.

ـ أنا بحبك أوي يا ياسين.

بابتسامة قلتُ:

ـ بموت فيكي يا قلب ورُوح ياسين، وخلاص بقى ما تعيطيش، بتعيطي على إيه؟

ابتسمت ومسحت دموعها بطفولية وقبلتني من خدي وقبّلتُ أنا جبينها، طفلتي هي، أول أبنائي.

مرّ أسبوعان..

ما زلتُ أفكر، أو بمعنى أدق أدعي التفكير، إن أمر الشراكة بيننا أمر محتوم، لا أستطيع الرفض الآن؛ لأنني أحتاجها، دائمًا أحتاجها ولا ألقاها، هذه المرة الأولى التي تأتيني دون طلب مني لتسد احتياجي لها، ولكن ليس بهذه بسهولة. أمسكتُ الكارت الخاص بها، أمسكته بضع

ثوانٍ أنظر إليه، ثم تنهدت بعمق وأمسكتُ هاتفي وهاتفتها، الجرس يدق مع دقات قلبي المتعالية، حتى ردّت:

ـ ألو؟

خفق قلبي بشدة فتنحنحتُ وأجبتها:

ـ ألو، مدام رُوح؟

ـ أيوة يا فندم مين معايا؟

دام الفراق بيننا خمس سنوات، وعلى الرُغم من ذلك لم أنسَ أبدًا صوتَكِ، لا أسمعُ إلا صوتَكِ، أمن العدل أن تنسِي صوتِي الآن؟!_ ياسين الزيني.

ـ أهلًا وسهلًا يا بشمهندس، إزيك؟

ـ أنا بخير الحمد لله، أنا كنت متصل عشان أبلغك ردي على طلبك اللي عرضتيه عليا.

ـ أتمنى يكون خير.

ـ خير إن شاء الله، أنا موافق.

علمتُ من صوتها أنها ابتسمت.

ـ تمام يا بشمهندس، وإن شاء الله نقدر نعمل مع بعض شغل كويس.

ـ إن شاء الله.

ـ طيب نقدر نتقابل إمتى عشان نتفق على كل حاجة؟

ـ بعد بكرا كويس؟ في الشركة عندي.

ـ ماشي يا بشمهندس.

ـ تمام، مع السلامة.

أغلقتُ الهاتف معها، وتنهدت بأريحية، بعد ذلك دق أحدهم الباب، أذنتُ له بالدخول، فكان مالِكًا ومن ورائه عمرو.

- خير؟ سايبين شغلكوا وجاينلي ليه؟
- عايزين نتكلم معاك.

أجاب عمرو.

- تتكلموا معايا في إيه؟
- في الصفقة، أنت ما قُلتش رأيك لرُوح لسه ليه؟
- عادي يعني.
- عادي إزاي بس يا ياسين؟

أجاب مالِك، وتابع قائلًا:

- إحنا عايزين ننجز، لسه قدامنا تفاصيل كتير هندخل فيها.
- طيب.
- طيب إيه؟ يا ياسين إنجز..

قاطعتُ حديثه قائلًا:

- أنا لسة قافل معاها، وبلغتها موافقتي وهي جاية بعد بكره الشركة عشان نتفق على كل حاجة.

تنهد كلاهما براحة.

- خلاص كدا ارتحتوا؟
- أيوة.

أجاب كلاهما.

- طيب يلا نروح نتغدا عشان أنا ميت من الجوع.
- يلا بينا بسرعة.

أجاب عمرو مبتسمًا ولمعة عينيه تزداد، فابتسمتُ من أجل قسمات الفرحة البادية على وجهه، بل هي علامات الشقاء والعناء، هي علامات الحب والهوى، وصلنا إلى مطعمنا المعتاد وجلسنا إلى طاولة وطلبنا غداءنا، كنت أتحدث أنا ومالِك، ولكن عمرًا لم يشاركنا الحديث، كانت عيناه تتجول بحثًا عنها، كنت أتابعه بعيني دون أن يكتشف هذا، حتى ظهرت من الخفاء، وأخذت تتجول بين الطاولات ويبدو أنها كانت تخطف النظر إليه بين حين والآخر، وكلما تتلاقى أنظارهما، تخجل وترتبك، فأردتُ إرباكه هو أيضًا.

ـ هو الأكل مش هيجي بقى ولا إيه؟ أنا جعت، أظن أنت شبعت خلاص يا عمرو، مش كدا؟

أجاب بارتباك قائلًا:

ـ شبعت إيه؟ هو أنا يعني كلت حاجة؟

ضحك مالِك وردّ عليه قائلًا:

ـ ما هو مش كل الجوع شبعه الأكل، فيه حاجات تانية بتشبع برده.

ـ زي إيه يامالِك؟

سأله عمرو بسخرية، فأجابه مالِك:

ـ شوف أنت بقى.

ـ طب اسكت اسكت.

وتبادلنا الضحك أنا ومالِك، وبعد بضع دقائق جاءت لنا الفتاة وقدمت لنا وجبة الغداء، وقبل أن تذهب لتكمل عملها أوقفها عمرو بقوله:

ـ هو مديرك قالك حاجة تاني؟ ضايقك؟

ارتبكت الفتاة وطأطأت رأسها خجلًا وأجابته:

ـ لأ يا فندم.

أومأ عمرو برأسه وقال لها:

ـ طب كويس، لو.. لو حاول يضايقك تاني أو قالك حاجة ما عجبتكيش قوليلي.

أومأت برأسها وقالت:

ـ حاضر، عن إذن حضرتك.

ذهبت من أمامه وظل يلاحقها بعينيه والابتسامة على وجهه، وبعد أن اختفت من أمامه أعاد نظره إلينا فوجدني أنا ومالِك ننظر إليه، فتنحنح ونظر إلى الطبق الموضوع أمامه وظل يتناول منه وكأن شيئًا لم يكن.

كان أكثر ما يسعدني أني رأيتُ طيفها بعينيه، ملامحها تتشكل بها، وما هي إلا مسألة وقتٍ وبضعة أيام تمر وتكتمل صورتها بعينيه، ومن ثم تُطبعُ على قلبه، مجردُ أيام ستمر ولن يجد الراحة إلا بالقرب منها، إلا عندما تُروى عيناه برؤيتها، مجردُ أيام ويجد نفسه مقيدًا بحبالها طوال حياته، حبالٍ لا خلاص منها وقيود تُؤذي الجوارح، ويكون بالنسبة له ألذ أذى، استرح يا أخي؛ فما هي إلا بضعة أيام ولن يستطع النوم أن يتغلب على جفونك، وستتلخص السعادة بالنسبة لك في طيفها ومروره أمام عينيك.

«وعذلتُ أهل العِشق حتى ذُقتهُ..
فعجبتُ كيف يموت من لا يعشقُ
وعذرتهم وعرفتُ ذنبي أنني..
عيّرتهم فلقيتُ فيه مالقوا..»

المتنبي

دلفت أميرة إلى مكتب رُوح لتطلب منها أن تمضي لها على بعض الأوراق المهمة، فوجدتها شاردة كليًّا والابتسامة على شفتيها، أخذت تُناديها ولم تُجب، لم تسمعها، فاقتربت منها وأمسكت بكَتفها وهزتها بخفة، فُزِعت رُوح وقالت لها:

- إيه يا بنتي في إيه؟ خضتيني.
- مالك؟ ربع ساعة بنادي عليكي وأنتِ ولا هنا.
- معلش كنت سرحانة ما خدتش بالي.

أسندت كفيها إلى سطح المكتب وغمزت لها بعينيها وقالت:

- اللي واكل عقلك.

ابتسمت رُوح وقالت:

- والله أنتِ فايقة يا أميرة.
- لا قولي بجد، كنتِ سرحانة في إيه؟

نظرت إليها وقالت:

- ياسين كلمني ووافق على الشراكة بيننا.

ردّت عليها بابتسامة:

- دا بقى اللي كنتِ سرحانة فيه؟
- أيوة يا ستي، كنت بفكر هنعمل إيه في اللي جاي وخطتنا هتكون إيه.بخبثٍ قالت أميرة:
- قولتيلي، طيب ربنا يوفقكوا.
- يا رب يا لمضة، قوليلي كنتِ جاية عايزة إيه؟_ عايزاكِ تمضيلي على الورق دا.
- هاتي.

أخذت منها الأوراق وبدأت تضع إمضاءها عليه، وأثناء ذلك قالت لها أميرة:

- رُوح، هو أنتِ مش ناوية تقولي لياسين الحقيقة؟

رفعت نظرها من على الورق الموضوع أمامها وتركت القلم وردّت على أميرة قائلةً:

- لأ مش ناوية.
- ليه يا رُوح؟
- أقوله ليه؟ ما ينفعش يا أميرة خلاص، مش هرجّع الماضي بعد ما اتقفل، وما لهاش لازمة، خلاص كل واحد بقت ليه حياته وعايش في حاله.
- أنتِ عارفة كويس إن ياسين حياته جت لحد عندك ووقفت، فما تتماديش أرجوكِ.
- ولو قُلتله؟ هترجع حياته زي الأول؟ هنرجع إحنا لبعض؟ هينسى؟ أنا هنسى؟ إيه اللي هيتغير؟
- أكيد فيه حاجة هتتغيّر، عالأقل نظرته ليكي هتتغير ومش هيبقى شايفك ظلمتيه.

صمتت لبضع ثوانٍ أعطتهم لنفسها كي تفكر، للحظة أخذها الحنين له وتخيلت أنها ستكون في عالم جميل إذا اعترفت، ويعود لها ياسين من جديد، ولكن نفضت تلك الأفكار من رأسها ووصفتها بينها وبين نفسها بأنها أفكار صبيانية ومراهقة، وردّت على أميرة قائلةً:

- مش هينفع زي ماقُلتلك، مش هينفع نرجع لنقطة الصفر من تاني في وجعنا، كل واحد فينا بقت ليه حياته، وهي

مسألة وقت وياسين هينساني ويرجع يعيش حياته زي الأول ويحب من تاني ويتجوز.

أومأت برأسها أميرة باستخفاف وقالت:

ـ قُلتيلي، طب هو ياسين هينسى ويعيش حياته، أنتِ بقى هتنسي أنتِ كمان وتعيشي حياتك؟

ابتلعت رُوح غصة في حلقها وأجابتها بصمود:

ـ أكيد.

ظلت تنظر إليها أميرة وهي تعلم أنها تكذب وأنها غير مقتنعة بما تتفوّه به.

ـ خلصتي إمضا على الورق؟

في اليوم التالي..

كنتُ جالسًا أعمل في صمتٍ تام حين صدع صوت الهاتف، تناولته بيدي ورأيتُ اسم المتصل فكانت رُوحًا، خفق قلبي وتعجبتُ كثيرًا، ماذا حدث لتهاتفني؟ ولأمنع عقلي من التفكير وأجد إجابة عن أسئلتي أجبتُها:

ـ ألو؟

ـ ألو، إزيك يا ياسين؟

لم يمر نُطقها لاسمي مرور الكِرام، وبارتباكٍ أجبتُها:

ـ أنا تمام الحمد لله، أنتِ عاملة إيه؟

ـ كويسة، أنا اتصلت بيك عشان أبلغك حاجة. _ خير؟

ـ جالي رسالة تهديد من شركة مهران السيوفي وإبراهيم الهواري.

صُدمتُ بشدة:

ـ تهديد؟ تهديد إيه؟ ولحقوا إمتى يعرفوا إن إحنا هنشتغل سوا؟

ـ مش عارفة، بس بيقولولي في الرسالة إني ألغي الشغل اللي مابيننا وإنه يُستحسن ما احطش الصفقة دي في دماغي وأطلع منها، عشان أنا سِت لوحدي وسهل أتئذي.

ـ إيه الكلام دا؟!قطع حديثي معها طرقات على باب المكتب.

ـ ثانية واحدة بعد إذنك.

أذنتُ للطارق بالدخول، دلف عم سعيد الساعي وتقدم مني، قلتُ له:

ـ خير يا عم سعيد في إيه؟

ـ فيه حد يا بشمهندس جه واداني الجواب دا وقالي أوصله لحضرتك.

ـ حد مين؟

ـ مش عارف والله.

ـ طيب يا عم سعيد سيبه على المكتب واتفضل أنت.

ترك الجواب على سطح المكتب وغادر، قالت رُوح:

ـ خير فيه إيه؟

أجبتُها:

ـ جالي جواب مع عم سعيد الساعي.

ظهر الاندهاش في صوتها فقالت:

ـ هو ممكن يكون بعتولك جواب تهديد ليك أنت كمان؟

ـ مش عارف، خليكي معايا.

أمسكتُ بالجواب وفتحته وقرأتُ ما بِه، فكان كما توقعت رُوح، رسالة تهديد، يُهددونني للانسحاب كُليًّا من هذه الصفقة وألا أُقدِم عليها، وإلا يفعلون ما لا أتوقعه، وما لا يُحمد عقباه! _ بيهددوني أنا كمان.

ـ طب والعمل؟ دول ناس ما يعرفوش ربنا.

ـ أنا يا قاتل يا مقتول على الصفقة دي، ومش هسيبها ليهم بالساهل كدا، وما دام بعتولنا جوابات بيهددونا فيها يبقوا خايفين مننا، عشان كدا هكمل للآخر، أنتِ معايا ولا إيه؟

ـ معاك، أنا كمان عايزة الصفقة دي.

ـ يبقى على معادنا بكره في الشركة هنا إن شاء الله، وهنتفق هنعمل إيه.

ـ تمام.

أغلقتُ معها الهاتف وكنتُ غاضبًا جدًّا، غاضبًّا بشدة، من أين أتوا بهذا الأذى؟ حاولتُ أن أُهدئ نفسي قليلًا وهاتفتُ السكرتيرة أن تطلب من عمرو ومالِك أن يأتياني في مكتبي، بضع دقائق وكانا أمامي معًا، وقصصتُ عليهما ما حدث.

ـ طب والعمل يا ياسين؟

قالها مالِك.

ـ مش هسيب الصفقة دي.

ردّ عليّ عمرو قائلًا:

- أيوة بس برده دول ناس شر، وسمعتهم أصلًا مش كويسة في السوق، وهيحاولوا يتعرضولنا بأي طريقة ويوقفونا مش هيغلبوا.
- وإن ينصركم الله فلا غالب لكم، إحنا معانا ربنا وربنا مُتطلع وشايف كل الحقيقة، وعارف مين الظالم ومين المظلوم في اللعبة دي، المهم أنا عايزهم هما يفكروا هيئذونا إزاي وإحنا نفكر إزاي يبقى شغلنا على أعلى مستوى، تمام؟

أجابا:

- تمام.

جلست حبيبة أمام والدتها وهي تشعر بالضيق من حديثها.

- يابنتي ريحيني وقابلني العريس اللي جايلك.

قالت صباح، فزفرت حبيبة قائلةً:

- يا ماما أنا مش عايزة أتجوز دلوقتي.
- أمال عايزة تتجوزي إمتى؟ يا بنتي كل اللي قدك متجوزين دلوقتي واللي معاها عيل واللي معاها عيلين، ويا ريتك قاعدة بتعملي حاجة.

نظرت إليها حبيبة بغضب:

ـ أنا بشتغل يا ماما، ولسه عايزة أحقق حاجات كتير في شغلي.

ـ وما ينفعش تحققيها وأنتِ متجوزة؟

ـ لأ.

تنهدت صباح ونظرت إليها بخبث وقالت:

ـ بت أنتِ حاطة عينك على حد؟ مستنية حد يعني؟

نظرت حبيبة إلى والدتها بصدمة شديدة وقالت:

ـ إيه يا ماما اللي أنتِ بتقوليه دا؟ لأ طبعًا.

ـ أصل قعدتك دي مش مريحاني خالص.

ـ والله أبدًا يا ماما.

ـ أمال مش عايزة تقابلي العريس اللي جايلِك ليه؟

ـ عشان أنا مش عايزة أتجوز دلوقتي، مش بفكر في الجواز دلوقتي خالص.

فقالت صباح:

ـ ماشي يا بنتي، إعملي اللي يريحك.

وبعد ذلك نهضت صباح من أمامها ودلفت إلى غرفتها، وظلت حبيبة تفكر فيما قالته لها والدتها، ورَدَ بعقلها عمرو، تذكرت ما فعله مع رئيسها عندما وبّخها، تذكرت ابتسامته عندما يراها، ونظراته التي تُراقبها، فابتسمت.

«أيا حبيب غاب عن الأعين وترك لي طيفًا ودودًا،
افعل ما تفعل بي، إني أرى الأشواك منك وُرودًا.»

في اليوم التالي..

وصلت رُوح إلى الشركة في الموعد المتفق عليه، وقد استقبلتُها في قاعة الاجتماعات الخاصة بي، وحضر الاجتماع معنا عمرو ومالك، وبدأنا في العمل جميعًا لمدة استغرقت ساعة ونصف كنتُ فيهم صلبًا، متزنًا كليًّا.

- خلاص كدا تمام اتفقنا؟
- اتفقنا.

أجابوا جميعًا، فأضفتُ قائلًا:

- بس فيه حاجة لازم ناخد بالنا منها.
- خير؟

أجاب مالِك.

- الشركتين اللي إحنا داخلين ننافسهم مش سهلين ومش هيسيبونا في حالنا.

قالت رُوح:

- تفتكر ممكن يعملوا إيه يعني؟
- مش عارف، مش متوقع حاجة، بس السبب اللي خلاهم يتحدوا هو إنهم مش ضامنين المكسب، لكن لما اتحدوا إمكانياتهم هتزيد طول ما فيه ميزانية، فهيعرفوا يصنعوا أجهزة كويسة، ولما إحنا عملنا زيهم واتحدنا برده خلينا المكسب ليهم مش مضمون، والصفقة دي حلوة، حلوة أوي يعني، وممكن يعملوا أي حاجة عشان يكسبوها.
- طب المطلوب مننا نعمل إيه؟

قال عمرو، فأجبتُ:

- إننا ناخد بالنا وما نطلعش أسرار الشغل برا لأي حد مهما كان قريب، وتصميم الأجهزة اللي هنعملها لازم نخبيها في مكان مضمون صعب أي حد يوصله، تمام متفقين؟

- متفقين.

أجابوا جميعًا، فقلتُ:

- اااه وحاجة كمان.

ومن ثُم نظرتُ إلي رُوح فقلتُ لها:

- إحنا مش هينفع شغلنا يبقى علني.

نظرت إلي بتعجب وقالت:

- قصدك إيه؟

- قصدي إن أنتِ مش هينفع تدخلي الصفقة دي قدام الناس بس، يعني مش هينفع تيجي الشركة هنا، ولا أنا أجيلك الشركة حتى، مش هينفع نتقابل أصلًا.اندهشوا جميعًا، فقال مالِك:

- إزاي يعني يا ياسين؟ دا هي المفروض تكون موجودة هنا على الأقل مرة في الأسبوع عشان تشرف على اللي بيحصل، وتوافق على الشغل أو ترفضه، وهنبقى محتاجين إمضتها على ورق كتير، والخُبرا اللي هنجيبهم يشرِفوا على التصاميم لازم يكونوا بموافقتها وليلة كبيرة أنت عارِفها.

- لازم الناس كلها ومُنافسينا يعرفوا إننا مش هنشتغل مع بعض عشان الكل يتطمن، والمفروض إن رُوح ظاهريًّا

كدا مش داخلة الصفقة عشان يوصلهم إننا خايفين منهم وعملنا اللي طلبوه، فعشان كدا هي مش هينفع تيجي هنا تاني أو أنا أروحلها، لكن هنتقابل في مكان بعيد بحيث إن ما حدش يقدر يشوفنا أو يتعرف علينا، وأخليها تشوف التصاميم والحاجات اللي المفروض تشرف عليها والميزانية المطلوب إنها تدفعها.

ثم نظرتُ إليها وقلتُ:

ـ موافقة على الكلام دا؟

فابتسمت ابتسامة أودت بقلبي وقالت:

ـ موافقة.

مرت الأحداث بعد ذلك على نحو سوي، لم يحدث شيء جديد، في حياتنا العملية حدث ما يلي: راسلت خبراء أعرفهم من الولايات المتحدة واتفقتُ معهم على إدارة تصنيع الآلات المطلوبة وتصنيع آلالات على أحدث مستوى، وظللنا أنا ورُوح نعملُ في الخفاء، كنا نجلس معًا في أي مقهى بعيدًا عن أعين من يعرفُنا حتى لا ننكشف، ونحاول دائمًا أن نفعل أقصى جُهدنا، فإن ما يتبقى من الوقت أقل من خمسة أشهر، كنا دائمًا متفقين في الآراء، وهذا كان شيئًا جيدًا، أما عن قلبي وما به فلا زال كما هو، يلهثُ من شدة ما تمنى الوصال ولم ينله.

أما عمرو وحبيبة فبدأت نظرات كلٍّ منهما تخترقُ فؤاد الآخر.

وأما مالِك فكان من حين لآخر يفتحُ موضوع زواجه من أميرتي وما زِلتُ أرفض.

كنتُ جالسًا في غرفتي على فراشي شاردًا في حالي وحال فؤادي الذي بدأ يضعف من رؤيتها، كلما أراها أنسى الأذى، ولا أريد إلا أن تدوم هذه اللحظة التي أقضيها بجوارها، أنا لا أكون بخير إلا في وجودها.

ـ الكورنيش فاضي النهاردا ليه؟ غريبة!قالت رُوح، فأجبتُها بألم:

ـ من الواضح إن ما بقاش فيه حبّيبة، ما حدش معاه فلوس عشان يحب.

تعجَبَت مما قلته ومن ثُم ضحِكت وقالت:

ـ عادي يعني، ماحنا بنكح تراب أهو وبنحب بعض.

أجبتُها بضيق:

ـ مش وقت هزار على فكرة.

وضعت يديها على كَتفي وقالت:

ـ طب فيه إيه بس؟ مالَك؟

زفرتُ قائلًا:

ـ مصاريف كلية أميرة غالية، محتاجة مصاريف كتير.

ـ طب إيه؟ أنت مش معاك فلوس؟

ـ معايا بس.. أنتِ عارفة إن أنا ومالِك وعمرو بنحوش عشان ناويين نعمل مشروع سوا؟ هما بيحوّشوا وأنا مش معايا

فلوس أحوّشها، إحنا كنا متفقين إن في خلال سنة هنبقى معانا مبلغ معين نقدر نعمل بيه المشروع، بالطريقة دي مش هيبقى فيه مشروع خالص.

ابتسمت وقالت لي:

- وإيه المشكلة يا ياسين؟ لو مش سنة يبقى سنتين، يبقى تلاتة، طول ماحنا عايشين وبخير يبقى خلاص.
- وباباكي هيرضى بسهولة كدا تستنيني سنتين تلاتة كمان؟
- أنا أقدر على بابا، المهم أنت دلوقتي اهدا وادعي ربنا إنه يفكها وإن شاء الله خير، كل اللي نفسك فيه هيتحقق.
- أنا بس خايف من الوقت اللي يجي عريس فيه لأميرة وما اعرفش أجهزها.
- يا حبيبي ما تقولش كدا، وما تفكرش في المستقبل، خلينا في الحاضر، ربنا إن شاء الله هيرزقك، اصبر وارضى أنت بس وقول الحمد لله.

تنهدتُ بألم قائلًا:

- الحمد لله.

ابتسمت بخبث وقالت:

- ومين عارف؟ يمكن يجي عريس لأميرة مننا وعلينا ويبقى عارف ظروفكوا ويقبلكوا بيها.

نظرتُ إليها بتعجب وقلتُ:

- مش مرتاح لكلامِك، أنتِ تعرفي حاجة أنا ما اعرفهاش؟

ضحِكت وقالت:

ـ يووه كتير، مالِك بيحب أميرة.

صُدمت كثيرًا وقلتُ:

ـ إيه؟ أنتِ بتقولي إيه؟

ـ أنت إزاي مش واخد بالك؟ دا عيونه فضحاه.

لم أستوعب بعد ما قالته.

ـ مالِك؟!

ـ وأميرة كمان بتحبه، هي قالتلي كدا.صمتتُ! المفاجأة ألجمتني، ضحكتُ، أميرة؟! طفلتي الصغيرة تُحب؟ أفقتُ من شرودي عندما أمسكت رُوح ذراعي ووضعت رأسها على كَتفي وقالت:

ـ بس أميرة مش هتعرف تحب مالِك زي مانا بحبك، ولا مالِك كمان هيعرف يحب أميرة زي مانت بتحبني، مش كدا؟

ضحكتُ مما قالته وقلتُ لها:

ـ كدا.

فقالت:

ـ أيوة كدا اضحك وروق، كل حاجة هتعدي وهتهون، المهم إننا مع بعض، المهم إننا كويسين.

ابتسمتُ قائلًا:

ـ أنا ببقى كويس في وجودك بس.

«أُغالبُ فيك الشوقَ، والشوقُ أغلبُ
وأعجبُ من ذا الهجرِ والوصلُ أعجبُ..»

المتنبي

في اليوم التالي..

اليوم موعد لقائي مع رُوح، ذهبتُ إلى المقهى المُتفق عليه أن نتقابل به، وصلتُ قبلها بدقائق، وعندما جاءت وقفتُ واستقبلتها.

- إزيك يا ياسين؟
- تمام الحمد لله، إزيك أنتِ؟
- تمام.
- إتفضلي.

جلست وطلبنا مشروبًا وبعد ذلك بدأنا في التحدث عن العمل، كانت لديها فكرة تريد مناقشتها معي، وهي تحكيها تلاقت أعيننا للحظات، خفق قلبي، وددت أن تكون نظرتي لعينيها قاسية، فوجدت القسوة لانت في عينيَّ وتحولت لعتابٍ هادئ، كنت أظن أن الأعين لا تملك التحدث، فما وجدتُ في هذه اللحظة أفصح من عينيَّ!

كنتُ أهواكِ، أهواكِ للحد الذي جعلني أشعر أن كل ما يؤلمكِ يؤلمني، وكل ما يرضيكِ يرضيني، وكل ما تهوينه أهواه، وكل ما تبغضينه أبغضه، وكأن روحي خرجت من جسدي وسكنَت روحكِ جسدي، فأصبح كل ما تشعرين به أشعر به، كان كل ما أملكه لكِ، كل ما أملكه يحمل اسمكِ، قلبي وروحي وعقلي وعيناي، حتى اللحظة التي أعيشها كانت لكِ، حتى التنفس، ما كنت أملِكُ في نفسي شيئًا إلا اسمي، حتي اسمي أَحبكِ، أَحبكِ للدرجة التي رأى فيها أن اسمًا غير اسمُكِ لا يليق به، كل هذا الحب العميق كان لكِ، ولكني لم أجد منكِ غير الجرح والعذاب، نزعتُ قلبي من بين أضلعي وجئتكِ أحمله بين يدي، قلتُ لكِ، قلتُ لكِ أن قلبي قد عانى في البُعد الكثير، قد تمزق من كثرة ما

رأى في هذه الحياة الشاقة، ما جمّل الدنيا في عيني إلّا وجودكِ بها، ما جمّلني إلاكِ! كنتِ أعظم ما تمنيته وأعظم ما تحقق لي، والله إنكِ لأعظم ما رأت عيني في الوجود، لا وجود إلا وجودك، لا بشر إلاكِ، نظرت إلى قلبي بين يدي وقلتُ لكِ، إن هذا المخلوق الذي أحمله مريض، وقد أتعبني، من شدة ألمه توجّع كل عضو في جسدي، وكل هذا لأنكِ فيه، تسكنيه، قد مرِض القلب بالحب، حبكِ أنتِ، أنتِ الداء والدواء له، أنتِ الصبار وبساتين الأزهار، أنتِ الموت والحياة، أنتِ كل الحلو، وحلوكِ مُر! فإن كل ما أطلبه منكِ أن تداوي جراحي، ولا دواء لجراحي غير الوِصال.

فما رأيت منكِ إلا وعدًا بالدواء، وبغفلة مني أخرجتِ سكينًا حادًّا أخفيتِيه وراء ظهركِ وطعنتي قلبي به، أمام عيني! وتركتيني ومررت، وظللتُ أعلّمُ قلبيِ القسوة والجفاء، أعلّمه الحدة والشدة حتى ينساكِ ويهجركِ، ولكنه لَعين، ما تزحزح عن حبكِ ولا خطوة، ولا طرفة عين طرفتها وكنت أكرهكِ، فعلمت أن القلب كما أحبّ الوصل منكِ أحبّ الهجر أيضًا، أحبّ كل ما تفعلينه، حتى قسوتكِ عليه قد أحبها، ففي اللحظة اللتي طعنتيه بيدكِ، بسكينكِ الحاد، قد أجابكِ قائلًا: سلمت يداكِ.

ـ ياسين أنت معايا؟

أفقتُ من شرودي على صوتها، فأبعدتُ عيني عنها ووجدتني أقول لها:

ـ دايمًا معاكي.

ارتبكَت! وطأطأت رأسها خجلًا وتلعثمت في حديثها:

- اه، طب، طب تمام، المهم أنت.. أنت إيه رأيك في اللي قُلته؟
- موافق.

وجدت حبيبة نفسها تقع في حب عمرو، أصبحت تنتظرُ لقاءه كل يوم، وفي اليوم الذي لا يأتي فيه تفتقده، أصبحت تشتاقُ إليه، لم يُعجبها حالَها هذا، لم تُرد أن تقع في حبه أبدًا، ظلت توبخُ نفسها على فعلتها هذه، على الرغم من أن الأمر ليس بيديها، من منا له الحكم على فؤاده؟

- أنا اسمي محمود، عندي ٣٠ سنة، شغال مُدرس عربي وعندي شقة صغيرة على قدي ومرتبي مش كبير و...

كانت جالسةً أمامه صامتةً ساكنة، فقط تسمعه وقلبها يؤلمها، عريسًا جديدًا جاء ليطلبها، ظلت تسمعه بشرود، هي تحبه، ولكن الحب بينهما لا يكفي، هو أصبح بعيدًا عنها، تحجبها عنه المسافات التي خُلقت بينهما، هو عمرو رأفت الزيني صاحب شَركة الزيني، وهي حبيبة ابنة الخادمة التي تعملُ عندهم ونادلة في مطعم، فكيف يلتقيا؟ أحيانًا يضحك عليها عقلها ويخبرها أنه هو أيضًا يُحبها، نظراته تقول هذا، ولكن تنفض أفكارها هذه لتقع على أرض الواقع من جديد، هذا عبث وغير صحيح، أما عن هذا العريس الجالس أمامها فهو يشبهها كثيرًا ويشبه بيئتها الاجتماعية ولا ينفعها أحد سواه، ظل يتحدث عن نفسه وهي أيضًا تحدثت عن نفسها وقالت إنها تعمل بشركة، لم تقل له

الحقيقة عن عملها، لم يمضِ وقتًا طويلًا حتى ذهب الضيوف ودلفت هي إلى غرفتها، بدلت ملابسها وظلت تفكر كثيرًا في قرارها حتى دلفت والدتها إليها الغرفة وسألتها:

ـ إيه رأيك يا بنتي في العريس؟

نظرت إليها وتنهدت بعمقٍ قائلة:

ـ أنا موافقة يا ماما.

اليوم هو يومُ خطبتها، الجميعُ سعيد إلا هي، الحزنُ تملّكها، قلبها رافض تمامًا ما هي به، ولكن عقلها والمنطق يراه صوابًا وهي لم تُخطئ، ظلت رُوح وأميرة بجانبها طوالَ اليوم يقومون بتجهيزها، وهي أمامهم تدّعي السعادة.

وصل عمرو البيت، توجه صاعدًا إلى غرفته، ولكن توقف حين سمع صوت الباب يُفتَح، فرأى والدته تدلف من الباب، تعجب كثيرًا:

ـ كنتِ فين يا ماما؟

قالت نجوى:

ـ كنت في خطوبة بنت صباح.

اندهشَ، وهي جلست على الأريكة.

ـ دادة صباح؟ هي بنتها اتخطبت؟

ـ أيوة النهاردا. _ طب أنتِ جاية مع مين؟

ـ ياسين بعتلي السواق وجالي أخدني.

ـ وأميرة فين؟

ـ أميرة لسه هناك، سيبتها قاعدة مع صحابها، ومالِك هيبقى يروح ويجيبها.

أومأ برأسه لها، وأراد أن يسألها عن رُوح.

ـ هي رُوح كانت هناك يا ماما؟

تحوّلت ملامحها فجأةً وشعرت بالضيق وقالت له:

ـ أيوة كانت هناك.

ـ طب وأنتِ قابلتيها إزاي؟

ـ وأنا أقابلها ليه؟ أنا مالي بيها؟

ـ يعني هي ما جتش تسلم عليكي؟

ـ لا ما جتش، وبعدين هي ليها عين تيجي وتقف قدامي بعد اللي عملته في ابني؟ يلا بقى الله يسامحها.

ـ خلاص بقى يا ماما انسي، ابنك كمان أهو بيحاول ينسى.

ـ يا حبة عين أمه هو دا هينسى؟ كان نِسي من زمان، ضيعته وضيعت شبابه معاها.

ـ ربنا يسهلها بقى، أنا طالِع أنام، تصبحي على خير يا ماما.

ـ وأنت من أهله يا بني.

ـ ألف مبروك يا حبيبة.

نظرت حبيبة إلى أميرة والبسمة على وجهها قائلةً:

ـ الله يبارك فيكِ يا أميرة.

فقالت رُوح:

ـ وأخيرًا بقى خلصنا منك واتخطبتي؟

ـ قال يعني أنا كنت قاعدة فوق راسِك وما صدقتِ.

قهقه ثلاثتهم وبعد ذلك قالت أميرة:

ـ المهم إنك فرحانة ومبسوطة وربنا رزقك باللي هيعوضك عن كل الحاجات الوحشة اللي عِشتيها في حياتك.

أومأت لها برأسها وابتلعت غصة في حلقِها وقالت:

ـ الحمد لله.

مضى بعض الوقت وصدع صوت رنين هاتف أميرة، رأت اسم المتصل فوجدته مالِكًا، فقالت أميرة:

ـ بقولكوا إيه، أنا همشي، مالِك واقفلي برا.

ونهضت من مجلسها والتقطت حقيبتها واحتضنت رُوح وحبيبة وتركتهما وذهبت.

خرجت من منزل حبيبة واتجهت إلى حيث تقف سيارة مالِك وركبت بجواره.

ـ إزيك عامل إيه؟

ابتسم قائلًا:

ـ الحمد لله يا حبيبي، أنتِ عاملة إيه؟ وحشتيني.

ابتسمت بخجل قائلةً:

ـ وأنت كمان.

تحرك بسيارته وظل الحديث بينهما مستمرًا.

ـ الخطوبة كانت حلوة؟

سألها مالِك، فأجابته أميرة:

ـ جدًّا، وحبيبة كانت زي القمر ما شاء الله.

أومأ برأسها لها وقال:

ـ تصدقي أنا ما اعرفش شكل حبيبة صاحبتك دي إيه!

ـ أيوة عشان هي ما بتجيش لينا البيت خالص، عشان بتبقى محرجة من اخواتي وعشان مامتها بتشتغل معانا، حتى في خطوبتنا وكتب كتابنا ما جتش.

ـ غريبة أوي صاحبتك دي.

ـ مش غريبة ولا حاجة، هي بس حساسة زيادة عن اللزوم من شغل مامتها معانا.

أومأ لها برأسه فتابعت هي قائلةً:

ـ بقولك إيه، استنى هوريك صورتها هي وخطيبها.

أخرجت هاتفها من حقيبتها وأتت بصورتها وأرتها له.

ـ هي دي حبيبة.

قالت أميرة، نظر مالِك إلى الصورة، ومن ثُم ظهرت الصدمة على ملامحه وقال:

ـ هي دي حبيبة صاحبتك؟!

أجابته:

ـ أيوة هي، مالها في إيه؟

ـ ما لهاش ولا حاجة؟

ـ أمال اتصدمت ليه كدا؟

ـ ما فيش حاجة يا أميرة.

حقًّا صُدم كثيرًا، كيف لو علم عمرو؟ ظن أنها تحبه مثلما رأى أنه يحبها، كيف تُؤذيه هكذا؟

- هي حبيبة بتشتغل في مطعم؟

تعجبت أميرة كثيرًا وقالت:

- مطعم إيه لأ، دي بتشتغل في شركة._ شركة؟!

- أيوة شركة، مطعم إيه اللي أنت بتتكلم عنه دا؟

- لا ما فيش، أصل حاسس إني شوفت واحدة شبهها بتشتغل في مطعم، بس الظاهر إن أنا اختلط عليا الأمر.

أومأت أميرة برأسها له وبعد ذلك تابعت حديثها عن حبيبة وخطيبها وهو كان يسمعها بصمت، وبعدها تحدثت عن رُوح وعن ياسين حتى قاطعها بضيق قائلًا:

- كفاية بقى يا أميرة.

تعجبت من جملته، وردّت عليه قائلةً:

- كفاية إيه؟

- كفاية كلام عن حبيبة ورُوح وياسين، كفاية بجد، أنتِ ما بتتكلميش عننا قد ما بتتكلمي عنهم.

- يعني أنت متضايق إني بكلمك عنهم؟ خلاص مش هكلمك عنهم تاني.

أوقف سيارته فجأة، وتعدل في جلسته إليها وقال:

- أنا مش قصدي كدا، أنا كل اللي أقصده إدي لعلاقتنا وقت زي ما بتديها لرُوح أو لياسين، أنا ليا حق عليكي برده،

ومش معقول كل مانتكلم أو نتقابل يبقى كلامنا كله عن أخوكي وعن صحابك، أنا فين من دا؟

اندهشت من حديثه كثيرًا وقالت:

ـ للدرجادي كلامي بيضايقك وما بقيتش طايق تسمعني؟

شعر بالغضب وقال:

ـ دا اللي أنتِ فهمتيه من كلامي يا أميرة؟ إني زهقت من كلامك؟ أنا حقي عليكي فين؟ قوليلي إحنا ما اتجوزناش ليه لحد دلوقتي؟ طب أنتِ بتفكري في جوازنا أصلًا؟ بتفكري في علاقتنا دي واقفة ليه؟ مدياني وقت من تفكيرك زي ما بتديه لاصحابك؟

ـ إيه دا؟ دا أنا بقيت وحشة جدًّا في عنيك، ومقصرة في حقك كمان!_ أنتِ شايفة إنك مدياني حقي؟

ـ أنا مش شايفة حاجة غير إنك تروّحني.

تنهد بغضب قائلًا:

ـ تمام.

وقاد سيارته وعمّ الصمت بينهما حتى وصلا لبيتها، أوقف سيارته ونزلت من السيارة بسرعةٍ ودلفت إلى الداخل، نزل هو من سيارته واتجه خلفها.

رأيتُ أميرة تدلف من باب الڤيلا ويظهر الغضب على وجهها، ومالِكًا وراءها، يبدو أنهما غاضبان من بعضهما، دخلت أميرة إلى البيت حتى أنها لم تجبني حين ناديتها، نظرتُ إلى مالِك الذي تقدم مني ووقف أمامي وقلت له:

- إيه فيه إيه؟ إنتوا اتخانقتوا ولا إيه؟

- مش مهم دلوقتي، المهم أنا عايزك في موضوع.

- موضوع إيه؟

تنهد قائلًا:

- البنت اللي بنشوفها في المطعم، اللي بيحبها عمرو.

باندهاش قلت له:

- مالها؟

- طلعت حبيبة بنت داده صباح، اللي هي تبقى صاحبة أميرة اللي خطوبتها كانت النهاردا. _ إيه؟

أجبته مصدومًا، خُطِبت؟ لمن؟ وأخي؟ _ وأنت عرفت منين إنها هي؟ إحنا عمرنا ما شوفنا حبيبة بنت داده صباح أصلًا.

- أميرة ورتني صورتها هي وخطيبها وعرفت إنها هي البنت اللي بتشتغل في المطعم، وفيه حاجة كمان.

- إيه تاني؟

- حبيبة مفهمة أميرة إنها بتشتغل في شركة مش في مطعم.

صمتتُ، جاءت أسئلة كثيرة في عقلي لم أجد لها إجابة، كل ما يهمني في هذه اللحظة هو عمرو، وما سيحدث عندما يعلم أنها خُطبت.

عادت رُوح إلى بيتها، كانت حزينة للغاية، تتذكر نظرات والدة ياسين إليها اليوم، كانت تقتلها، ولكن كانت تعذرها؛ فهي على حق، خيّم عليها الحزن وباتت ليلتها حزينة كأميرة وحبيبة، حبيبة التي قررت أن تُخطَب لغير حبيبها؛ لأن حبيبها لا ينفعها، فقررت الزواج بغيره، لعلها تنسى عندما تكون مع شخص آخر، أما عن أميرة فكانت حزينة؛ كلام مالِك أشعرها أنها باتت في عينيه سيئة، وأنها لا تعطيه حقه الذي تحدث عنه، ظلت ثلاثتهن يفكرن والحزن والضيق منعا النوم أن يصل لأعينهن اليوم.

استيقظت أميرة على صدع رنينٍ هاتفها، قامت من فراشها بنعاس وأمسكت هاتفها فكان المتصل مالِكًا، تنهدت ونظرت لاسمه بضع لحظات ومن ثم تركته على وضع صامت ولم تُجب، حاولت النوم مرة أخرى ولكن لم تستطع النوم، فخرجت من غرفتها وذهبت إلى المطبخ تصنع لها كوبًا من النسكافيه حتى تفيق.

ندم مالِك على ما قاله لأميرة بالأمس، ما كان يجب أن يقول لها هذا الكلام، كان لا بد أن يغير من أسلوبه هذا في التحدث معها، لذلك قرر مهاتفتها وأن يصالحها ولكن لم تُجب، قرر مهاتفتها عدة مرات ولم تجب، زفر حين مل من عدم ردّها هذا، وبعد ذلك نظر في ساعته فوجد الساعة الحادية عشرة، وقت الراحة، خرج من مكتبه وقابل عمرًا وذهبا معًا إلى مكتب ياسين.

كنت ممسكًا بهاتفي حين وجدت مالِكًا وعمرًا يدلفان من باب المكتب، رفعتُ بصري من الهاتف ونظرتُ إليهما، تقدما مني وقال عمرو:

ـ إيه يا بني قاعد ليه؟ يلا عشان نروح نتغدا.

نظرتُ إلي مالِك وبعد ذلك حوّلتُ بصري إليه وقلتُ له:

ـ ما بلاش نروح النهاردا ونطلب الغدا هنا في المكتب.

تعجب عمرو من كلامي وقال:

ـ ليه يعني؟

ـ عادي يعني تغيير.

ـ هو إيه دا اللي تغيير؟

فقال مالِك:

ـ هو قصده نستغل الوقت ونطلب الغدا هنا وناكل وإحنا بنشتغل.

ـ أيوة بالظبط كدا.نظر إلينا عمرو وقال:

ـ أنا مش بعرف اشتغل وأنا باكل، وعمومًا براحتكوا، لو مش هتروحوا إنتوا هروح أنا.

فقلتُ له:

ـ لأ خلاص هنروح معاك، يلا يا مالِك.

ونهضتُ من مقعدي وذهبنا معًا، لم أقلق إلا من المواجهة الأولى فقط، هذا جُل ما يقلقني، أن يظن المرء أنه يُحبُ ويُحَب، فيجد نفسه يُحبُ ولا يُحَب.

وصلنا إلى المطعم وجلسنا على طاولةٍ وطلبنا غداءنا، وكالعادة عيناه تفتش عنها ظمآنة تُريد أن ترتوي، حتى رآها، ظهرت البسمة على وجهه وهدأت حواسه، أما هي فارتبكت من نظراته، وإن كنت غير مخطئ، فقد خيّم عليها الحزن، وظلت تتهرب من نظراته، ودائمًا حظها معنا أنها هي من تأتي لنا بالغداء، أنزلته لنا بحذر، وعمرو ما زال ينظر إليها، حتى وقعت عيناه على الدبلة في يدها اليُمنى، ظلّ يحملق بها غير مصدق، متى خُطبت؟ خانه لسانه وقال لها:

ـ أنتِ اتخطبتي؟!

فوجئتُ أنا ومالِك بسؤاله لها، حتى هي أيضًا فوجئت ونظرت إلى عينيه بحزنٍ بالغ، أعلم هذا الحزن وأعلم نظراته، فطأطأت رأسها خجلًا وأومأت له برأسها وذهبت، كانت الصدمة تعتلي ملامحه، خُطفت فجأة من أمام عينيه، تبادلنا أنا ومالِك النظرات، وظللنا نأكل وكأن شيئًا لم يكن، وكأننا لا يعنينا جميعًا هذا الأمر، أما هو فحاول أن يأكل وألا يشعرنا بحزنه وصدمته ونبضات قلبه المتسارعة، ولكن لم يستطع، فقال:

ـ أنا شبعت.

فقلتُ له:

ـ أنت لحقت؟ دا طبقك زي ما هو.

ـ لا خلاص شبعت، أنا همشي ولما تخلصوا أكلكوا حصلوني.

وتركنا وغادر المطعم، تأففتُ ونظرت إلى مالك وقلتُ له:

ـ إيه النكد دا بقى؟

ـ لسه، لسه النكد جاي، اصبر.

تنهدتُ بشدة، ظللتُ أبحث عنها بعيني حتى رأيتها، فنهضتُ من مقعدي وذهبتُ لها، وقفت أمامها قائلًا:

ـ بعد إذنك لو سمحتِ.

نظرت إليّ بصدمة وقالت:

ـ خير يا فندم؟

ـ ممكن اتكلم معاكي شوية؟

ـ خير؟

ـ أنتِ أكيد عارفة أنا مين، مش كدا؟

توترت وارتبكت، فتابعتُ:

ـ وأنا كمان عارف أنتِ مين.

نظرت إليّ بصدمة، فقلتُ:

ـ أنتِ حبيبة بنت داده صباح، وصاحبة أميرة أختي.

لم تُجب، فقط تسارعت أنفاسها.

ـ أنا بس عايز أقولك أنتِ ليه اتخطبتي؟

نظرت إليّ وقالت:

ـ حضرتك شايف إن دا سؤال له إجابة منطقية؟

ـ مش قصدي كدا، قصدي ليه تتخطبي وأنتِ بتحبي حد تاني؟

صُدمت وقالت:

ـ بحب مين حضرتك؟

ـ عمرو! وعمرو كمان على فكرة بيحبك.

ـ حضرتك بتقول إيه؟

- حضرتي بقول إنك بتعذبي نفسك وبتعذبي حد معاكِ، وهتدوقي المُر بعدين، بتوجعي نفسك بإيدك ليه؟ ليه تتخطبي وأنتِ بتحبي حد تاني؟ ليه؟ هو حصل من عمرو حاجة؟

- من فضلك بلاش الكلام دا، أنا ما اقبلوش.

تنهدتُ وغيرتُ هذا الموضوع قائلًا لها:

- أنتِ كنتِ بتشتغلي في شركة قبل ما تيجي المطعم هنا؟

صدمتها زادت وقالت:

- أيوة.

- أميرة قالت إنك بتشتغلي في شركة، معنى كدا إنك مش قايلة لحد إنك بتشتغلي في مطعم، صح؟

ارتبكت كثيرًا وقالت:

- من فضلك أنا مش عايزة اتكلم، في الأول وفي الآخر دي حاجة تخصني أنا.

أومأتُ برأسي لها وقلتُ:

- تمام، مش هدخل في حاجة تخصك، ومش هقول لحد إنك بتشتغلي في مطعم ما تقلقيش، بس فكري كويس في أفعالك عشان كلها غلط، بعد إذنك.

وتركتها وغادرت من المطعم أنا ومالِك، وقصصتُ عليه ما حدث بيننا من حديث.

مرت الأيام التالية على عمرو ببطء وبحزنٍ شديدين، لم يكن يعلم أن طعم الحب مُر هكذا، ويصبحُ أحيانًا كالسم في البدن.

حاول أن يشغل نفسه في العمل أكثر الوقت، ولم يأتِ المطعم منذ ذلك اليوم، مذ علم بأمر خِطبتها، وأنا ومالِك لم نجبره على شيء، فقد تركناه يفعل ما يريده، ولم نسأله عن عدم ذهابه للمطعم.

- بقولكوا إيه، ركزوا معايا.

قلتُ أنا، فأجاب عمرو:

- مركزين، اتكلم.
- دلوقتي إحنا متوقعين أي أذى من شركات المنافسين، عشان كدا لازم ناخد بالنا، أولهم لازم نغير المخزن بتاعنا.

أجاب مالِك:

- ليه؟
- عشان ممكن يكونوا بيفكروا يسرقوا الأجهزة اللي بنصنعها، فنعمل احتياطاتنا ونغير مكان المخزن، والمخزن القديم هيفضل زي ما هو، والآلات القديمة هنروح نخزنها في المخزن القديم على أساس إن هي الجديدة عشان لو اتسرقت ما نتضرش.

قال عمرو:

- الله عليك، تمام أوي كدا. المهم دلوقتي محتاجين مخزن جديد ويكون بعيد عن الأنظار خالص، فكروا معايا.

ظل ثلاثتنا نفكر بضع دقائق حتى قال عمرو:

- ممكن نخزنها في بيتنا القديم.
- بيتنا القديم؟
- أيوة، مش هيجي في بال حد بيتنا القديم نكون بنخزن فيه الأجهزة الجديدة.

ابتسمتُ له قائلًا:

- حلو أوي، دلوقتي إحنا محتاجين رجالة كتير مع رجالتنا في المخازن وقسمهم يا مالِك، الرجالة بتاعتنا يروحوا يخزنوا الأجهزة في المخزن القديم، والرجالة الجديدة يخزنوا في المخزن الجديد، وعايز معاد التخزين في المخزن الجديد يكون بالليل وفي وقت متأخر، عشان نضمن إن ما حدش هيكون بيراقبنا.
- تمام.

أجاب مالِك، فتابعتُ حديثي قائلًا:

- وفي حاجة كمان عايزها منك يا عمرو.
- خير؟
- عايزك تجيب رجالة يراقبوا مهران السيوفي وإبراهيم الهواري، ورجالة تانية تراقب رجالتهم ليل ونهار.
- ليه؟

قالها بتعجب، فأجبته قائلًا:

- عشان حاسس إني ممكن اتخطف؛ عشان يضمنوا إني ما ادخلش الصفقة دي، وأنا هعملك توكيل عشان لو دا حصل تعرف تتصرف.

أجاب مالِك بصدمة قائلًا:

- يخطفوك؟!

- أيوة، خلينا دايمًا نتوقع أسوء الاحتمالات ونتصرف على أساسها، عشان كدا لازم نراقبهم من دلوقتي ونعرف كل الأماكن اللي بيروحوها ورجالتهم برده، عشان لو دا حصل تعرفوا توصلولي.

وجهتُ حديثي إلى عمرو قائلًا له:

- رجالتهم كلها تتراقب، واحد واحد، لأني لو اتخطفت فيه رجالة هتختفي مش هيظهروا في الشركة أو في بيوت أسيادهم أو في أماكنهم المعتادة، فاهمني؟

- أيوة فاهمك.

- يبقى كدا تمام، وإن شاء الله ما يحصلش كدا_ يا رب.

جلست أميرة على الأرجوحة تُفكر في مالِك، مضى أسبوع لم تراه ولم تُهاتفه، وقد افتقدته كثيرًا، اشتاقت إليه.

أما عنه هو فكأنما كان يسمعها، ذهب إلى بيتها، وجاء من ورائها ووضع يده على عينيها وقال:

- وحشتيني.

علمت من صوته أنه هو، فنزعت يديه من على عينيها وقامت من على الأرجوحة ونظرت إليه قائلةً:

ـ أنت إيه اللي جابك هنا؟

ـ أمشي يعني؟

ـ لأ! لأ مش قصدي كدا.

ـ طب إيه؟ وحشتيني.

ـ طيب.

ـ طيب؟ يبقى لسه زعلانة.

تقدم منها ووقف أمامها قائلًا:

ـ أنا آسف، حقك عليا.

وقبّل جبينها وقال:

ـ ما كانش قصدي أزعلك، أنا بس كنت عايز نبقى مع بعض لوحدنا، نتكلم عننا وعن حياتنا مع بعض، ما كنتش لاقي دا في كلامنا خالص، كنت حاسس إننا كل مدى بنبعد، دا بس اللي كنت أقصده، ما كنتش عايز أزعلك والله.

طأطأت رأسها خجلًا وقالت له:

ـ أنا لما فكرت في كلامك كويس لقيت إن معاك حق، أنا فعلًا مش مدية علاقتنا حقه ، أنا كمان آسفة.

ابتسم قائلًا:

ـ يا فرج الله، يعني خلاص مش زعلانة؟

بابتسامة ردت:

ـ لأ مش زعلانة.

وبعد ذلك نظرت إليه في عينيه وقالت:

ـ أنت كمان وحشتني أوي.جلسا معًا يتحدثان في مواضيع مختلفة، حتى قال لها مالِك:

ـ أميرة مش آن الآوان إننا نتجوز؟

أجابته:

ـ مش عارفة.

ـ يعني إيه مش عارفة؟ ماهو يا ااه يا لأ.

شعرت بالخجل كثيرًا وقالت له:

ـ ما اعرفش بقولك، روح قول لياسين.

ـ أيوة أنتِ إيه؟

ـ يووه ما تكسفنيش بقى، قلتلك روح قول لياسين.

ابتسم وقال:

ـ يعني موافقة، ما تقولي إنك موافقة.

وضحك كلاهما وبعد ذلك دلفا معًا إلى الڤيلا، كان عمرو جالسًا على أريكة شاردًا، فاتجهت إليه أميرة وجلست بجواره وسأل مالِك عمرًا:

ـ أمال ياسين فين؟

أجابه قائلًا:

ـ في أوضة المكتب.

اتجه مالِك إلى غرفة مكتب ياسين وظل أميرة وعمرو يتحدثان معًا.

كنت جالسًا أعملُ بمكتبي حين سمعت طرقات خفيفة على باب المكتب ثم دلف الطارق، كان مالِكًا، أغلق الباب خلفه ومن ثم قال:

ـ مساء الخير.

نظرتُ إليه قائلًا:

ـ مساء النور، إيه اللي جابك؟

جلس على المقعد أمامي مُبتسمًا قائلًا:

ـ دي كلمة تقولهالي يعني؟ دا أنا لو مش جوز أختك فأنا صاحبك يعني.

ـ إنت مش مزعل أختي؟ يبقى جاي ليه؟ ليك عين أصلًا تيجي وأنتَ مزعلها؟

وضع قدمًا على قدم قائلًا بابتسامة:

ـ لا مانا صالِحتها خلاص، وجايلك عايز منك طلب.

ـ طلب إيه؟

ـ عايز اتجوزها بقى._ بعينك.

أنزل قدمه واندفع فجأة في حديثه قائلًا:

ـ يا ياسين ارحمني بقى، والله أنا مش مستحمل البُعد اللي أنت فارضه علينا دا، دا أنت حتى مجربه وعارف قد إيه مُر، عايز تدوقهولي ليه أنا كمان؟

نظرتُ إليه متعجبًا، لم أكن أتخيل ردة فعله هذه، كانت قاسية بعض الشيء، هدأت ملامح وجهه وعلم قسوة ما تفوه به، فتنحنح قائلًا:

ـ أنا.. أنا آسف أنا مش قصدي.

لم أعقب على ما قاله، فتابع قائلًا:

ـ ما تزعلش مني، والله ما كنت أقصد أقول كدا.

أخرجتُ تنهيدة ومن بعدها ابتسمتُ له قائلًا:

ـ أنا ما زعلتش وما شوفتش حاجة تزعل في اللي أنت قُلته عشان تعتذر، وفعلًا أنت عندك حق، أنا كنت فارض عليكوا البُعد، بس أنت متجوزها، في إيدك هي برده أنا مش حارمَك منها.

أومأ برأسه قائلًا:

ـ عندك حق.

ـ وأنا سبق وقُلتلك مش هجوزهالك غير لما أشوفك مكوي بحُبها.

ـ والله أنا اتكويت لحد ما اتهريت.

قهقهتُ عاليًا وقلت له:

ـ طيب خلاص.

ـ خلاص إيه بالظبط؟

ـ بعد ما موضوع الصفقة دا يخلص هانحدد معاد الفرح إن شاء الله.

صُدمَ قائلًا:

ـ احلف؟ يعني خلاص وافِقت؟

ـ أيوة.

ـ والله العظيم؟

ـ أيوة يا بني.

ـ لا لا إوعى تكون بتهزر!

ـ بقولك إيه بقى ما تقرفنيش وإلا هرجع في كلامي.

ـ لا بالله عليك دا أنا ما صدقت.

نهض من مقعده وتقدم مني، ووقف أمامي قائلًا:

ـ قوم كدا عشان أحضنك.

ابتسمتُ له، نهضتُ من مقعدي واحتضنني بشدة قائلًا:

ـ أنا بحبك أوي، ربنا يخليك ليا.

ـ ويخليك ليا.

إن أكثر ما يسعد فؤادي أن زوج أميرتي هو رفيقُ عُمري، رفيق الدرب، رفيق الصعوبات، سيرافقها بحبٍ ومودة، لن ترضى عيناه رؤية سوءٍ بها أو مكروه أو أي شيء يتعسها، وهو سيكون بطل قصتها، المذاق الحُلو في عُمرها، السند والعون لها كما كان لي دائمًا ولا زال، كان لا بُد من وجود نهاية لهذا البُعد القريب بينهما، لتبدأ رحلة جميلة يكونا بها بمفردهما.

خرجنا من غرفة المكتب معًا ونحن نضحك، وذهبنا إلى حيث يجلس عمرو وأميرة، معالم التوتر بادية على وجه أميرة، وظلت تنقل نظرها بيني وبين مالِك، تقدمتُ منها وقلتُ لها:

ـ الواد دا عايز يحدد معاد الفرح، أنتِ إيه رأيك؟ جاهزة؟

ابتسمت وطأطأت رأسها خجلًا قائلةً:

ـ والله اللي تشوفه، الرأي رأيك.

ابتسمتُ أنا أيضًا وقلتُ:

ـ وأنا موافق، مبروك يا حبيبتي.

نظرت إليّ ولمعة الفرحِ في عينيها قائلةً:

ـ بجد؟!

ـ أيوة.

فاجأتني باحتضانها لي وتشبثها بعنقي، وقالت:

ـ ربنا يخليك ليا يا ياسين.

ـ ويخليكي ليا يا قلب ياسين.

عم الفرح أرجاء المكان، لم يتلفه إلا عمرو، ذلك الجالس على الأريكة شاردًا والحزن مخيم في عينيه، ناديتُه:

ـ عمرو.

لم يُجب، فرفعتُ صوتي:

ـ عمرو!

نظر إليّ قائلًا:

ـ إيه يا ياسين في إيه؟

ـ أميرة ومالِك هيتجوزوا خلاص، إن شاء الله الفرح هنحدده بعد ما الصفقة تخلص.

ابتسم، ولكن البسمة لم تمحُ ملامح الحزن البادية عليه، فقال:

ـ بجد؟ ألف مبروك.

ونهض من مقعده واقترب من أميرة وقبّل رأسها وقال:

ـ ألف مبروك يا حبيبتي.

ـ الله يبارك فيك يا حبيبي، عقبالك.

ثم نظر إلى مالِك وقال له:

ـ مبروك يا مالِك.

ـ الله يبارك فيك يا عمرو.

حوّل بصره إلينا جميعًا قائلًا:

ـ طب أنا طالع أنام، عن إذنكوا.

قلتُ له:

ـ استنى يا عمرو أنا هطلع معاك.

نظرتُ إلى مالِك وقلتُ له:

ـ بقولك إيه، يلا امشي، يلا عشان هنّام.

ـ طب عايز أقعد مع مراتي شوية طيب.

نظرتُ إلى أميرة فوجدتُها تتوسل إليّ بعينيها فقُلت له:

ـ خمس دقايق وتمشي، وأنتِ لو ما لقتكيش في أوضتك بعد الخمس دقايق دول هنزل أطرده وما فيش جواز.

فقالت لي:

ـ أقل من الخمس دقايق هتلاقيني وراك، دول حتى الخمس دقايق كتير.

تركتهما واقتربتُ من عمرو وصعدنا الدرج معًا، أردتُ أن أخفف عنه بعضًا من عذابه، فقولتُ له:

ـ عارف يا عمرو إمتى تعرف إنك بتحب؟

نظر إليّ عمرو ولم يُجب، فتابعتُ مُبتسمًا:

ـ لما تتعذب! لما تحس إن الوجع مالي روحك وقلبك، وضي عينك مطفي طول مانت مش شايف اللي بتحبها في وشوش البني آدمين، والضحكة تطلع منك دموع، والصرخة تطلع منك تنهيدة، وقتها تعرف إنك بتحب.

- وهيفيدني بإيه العذاب طول ما هي مش معايا؟
- كل اللي يجي من حبيبك حلو حتى لو عذاب ووجع، حتى لو نار.
- وآخرتها؟
- الدعاء سند وعكاز، يا يطيّب قلبك بالنِسيان، يا يطيّبه باللُقا، وأنت واللي بتدعيه، تصبح على خير.

تركته واقفًا مكانه واتجهتُ إلى غرفتي، أتمنى أن يلتقي بِها مجددًا، أتمنى أن تُشرق شمسه من جديد.

لم تنسَ حبيبة كلام ياسين لها، وأنها تُعذب نفسها بنفسها، تارةً تقتنعُ بكلامه وأنها ليست سعيدة بهذه الخِطبة، وتارة تقتنع بما فعلت، الحيرة تشبثت بها.

«الحبُ لا يفنى وإن غادرتني،
أو غِبتَ عن عيني فقلبي مطرحك..»

سوسن الدعيس

اليوم يوم موعدي مع رُوح..

قد تأخرت عن الميعاد المتفق عليه وانتظرتها نصف ساعة إضافية، حتى رأيتها تدلف من باب المقهى وهي تلهث، ظلت تبحث عني بعينيها حتى أشرتُ لها بيدي، ولما رأتني تقدمت مسرعة وقالت وهي تجلس:

- أنا آسفة على التأخير والله، العربية بتاعتي في الصيانة وما فيش مواصلات، وفضلت واقفة كتير لحد ما لقيت تاكسي.
- خلاص ولا يهمك، المهم أنتِ بخير؟

ابتسمت قائلةً:

- اااه الحمد لله.

يغلبني دائمًا فضولي لها، كما لو أنني أتحجج لأراها تبتسم، فيا لحظ فؤادي بكِ يا معذبتهِ.

- طيب ركزي معايا عشان أقولك وصلنا لإيه وإيه اللي هيتم.
- اتفضل أنا معاك.

أخرجتُ الرسومات من حقيبتي وبعض الملفات وبدأتُ في التحدث والشرح لها.

استيقظ عمرو من نومه بعد الظهيرة، لم ينم طوال الليل من كثرة ما به، من كثرة التفكير والغصة التي باتت في قلبه، كان قد استأذن من ياسين ألا يذهب إلى الشركة اليوم، وياسين أذن له بذلك لعلمه ما به،

نزل عمرو الدرج ومن ثم إلى المطبخ، فكانت السيدة صباح موجودة به، دلف إليها عمرو المطبخ، وقال لها:

ـ الله! وأنا أقول المطبخ ماله منور كدا ليه؟

نظرت صباح إلى مصدر الصوت، ابتسمت لمّا وجدته عمرًا، تعلم أنه دائمًا يحب مداعبتها:

ـ ياسلام على البكش اللي على الصبح.

ـ إخص عليكي، أنتِ تعرفي عني كدا؟

ـ دا أنت كدا نفسه، قُلي عايز إيه. جعان عايز آكل.

ـ ثواني وأحضرلك الفطار، روح أقعد برا على السفرة على ما أجيبهولك.

ـ لا أنا هفطر هنا في المطبخ، هقعد معاكي شوية عشان أنتِ وحشتيني.

ضحكت صباح من أجل آخر كلمةٍ تفّوه بها.

ـ وحشتَك إيه يا واد عيب الكلام دا.

ـ عيب إيه يا صباح دا أنتِ قد أمي.

قهقهت عاليًا وهو أيضًا، ومن ثم استمر الصمت بضع دقائق كانت صباح فيها تلتفتُ يمينًا ويسارًا وتصنع له الفطور، وأثناء عملها هذا وجهت حديثها له قائلةً:

ـ قُلي بقى مالك؟ حالك اليومين دول مش عاجبني.

ـ مالي يا داده؟ أنا كويس.

ـ عليا أنا برده؟

صمت عمرو ولم يجبها، فتابعت حديثها قائلةً:

ـ إوعى يا واد تكون بتحب.نظر إليها عمرو متعجبًا وقال لها:

ـ ليه بتقولي كدا؟ هو باين عليا حاجة؟

ـ أنا بسأل بس، بس الظاهر إن فيه حاجة.

ـ لا يا داده ما فيش حاجة.

ـ أمال مالك حسيتك اتخضيت ليه كدا؟

ـ لا عادي ما تخضيتش ولا حاجة.

ـ طيب، عمومًا الحب ما بيستخباش، بيبان على طول.

ـ ياداده بقى.

قالها عمرو بضيق، فضحكت صباح على تقلب وجهه وتابعت:

ـ هو الحب عيب؟ ولا مكسوف تقولي؟ ولا تكون فاكر إنه مش باين عليك؟ دا أنا بقالي فترة بشوفك قاعد لوحدك وسرحان وباصص في السقف، زي ما تكون بتشوف صورتها قدامك، وزي ما تكون عينك غالبها الشوق فما بتنزلهاش، وماله لما تحب؟ دا يا سعدها ويا هناها، لما يحبها عمرو الزيني بجلالة قدره.

ابتلع عمرو غصة في حلقه وقال لها:

ـ ما لوش لازمة الكلام دا يا دادا، هي خلاص اتخطبت.

وكأن رجال هذا البيت مكتوبٌ على قلوبهم العذاب نفسه، أن يحيوا مكسوري القلوب، أن تُقص أجنحتهم ويُسرق حلو أيامهم وأعمارهم فيزهدوا العيش بعدها.

ـ معذورة، أكيد ما كنتش تصدق إن عمرو بيه بيحبها، فراحت لغيره.

شعر عمرو بالضيق من حديثها وردّ عليها قائلًا:

ـ عمرو بيه إيه بس يا دادا، هو فيه في الحب بيه ولا فوق ولا تحت! ولو كان فيها فوق وتحت يبقى هي اللي فوق وأنا اللي تحت، أنا اللي بحبها وأنا اللي طالب رضاها، أنا اللي أتمنى ضُفرها وأتمنى بس البصة في عنيها، أنا اللي قلبي موجوع مش هي ياداده.

ـ سلامة قلبك يا ضنايا.

إبتسم عمرو من جملتها هذه، وكيف أن رقّ قلبها لحاله.

ـ يا عالم، يمكن ربنا يرزقك بالأحسن منها والأحلى منها كمان.

هزّ رأسه ينفي صحة ما قالته، وأجابها:

ـ لأ يا داده، الحسن كله فيها والحلو كله هي، ما فيش زيها اتنين.

ـ ربنا يطيب قلبك يا بني ويصبرك؟

تنهد بعمقٍ وأجابها:

ـ يا رب.

صمتا بضع دقائق آخرين، وبعدها قطع عمرو هذا الصمت قائلًا:

ـ مبروك على خطوبة بنتك صحيح، نسيت أبارِكلك، أنا آسف.

ـ ولا يهمك يا حبيبي، الله يبارك فيك.

ـ طب كدا بنتك تتخطب وما تعزمينيش؟ دي حتى بنتك الوحيدة، يعني لو ما عزمتنيش على خطوبتها هتعزميني إمتى طيب؟

ـ قال يعني أنت كنت هتيجي الخطوبة لو كنت قُلتلك، وبعدين تيجي تعمل إيه؟

قهقه عمرو عاليًا وقال:

ـ إيه؟ غيرانة عليا لا حد من البنات اللي هناك كان يعاكسني ولا إيه؟ قولي بقى واعترفي بحُبك ليا.

ضحِكت صباح وقالت:

ـ يابواد اتلم، عيب اللي بتقوله دا.

فقال عمرو بابتسامة:

ـ يلا ربنا يتمملها على خير إن شاء الله.

ـ إن شاء الله.

ـ هي صحيح بنتك اسمها إيه؟ أنا نسيت.

نظرت إليه بضيق وقالت:

ـ يادي النيلة، حبيبة، اسمها حبيبة.

خفق قلب عمرو بشدة وردد اسمها بتعجب:

ـ حبيبة؟!

ـ اه والله حبيبة، تصدق بإيه؟ كل شوية تسألني عن اسمها، احفظه بقى، ما تنساهوش تاني.

ودّ لو قال لها أن هذا الاسم محفوظٌ في قلبه وليس على لسانه فقط، ولن ينساه أبدًا.

مضت ساعة ونصف من الاتفاقات والنقاشات، وقد أطلعتُها على ما تم فعله.

- كدا تمام جدًّا، فاضل أقل من شهر ومندوبين الشركة يبقوا هنا في مصر، وإحنا كدا مش ناقص كتير على ما نجهز ويبقى كله تمام وجاهزين للصفقة.

قالت رُوح، فأجبتُها:

- إن شاء الله، ربنا يكرمنا.
- يا رب.
- أنا كنت عايز أقولك حاجة.
- خير؟

تنهدتُ بعمق قائلًا:

- أنا حاسس إننا اتكشفنا، سكوت مهران الهواري وإبراهيم السيوفي دا مش مطمني.

باندهاش قالت:

- ليه؟
- مش عارف، بس بعد رسالة التهديد اللي وصلتنا دي ما جاش لينا حاجة تاني ودا يقلق، السكوت دا مش مريحني.
- عادي، ما يمكن اتطمنوا إننا ما بنشتغلش مع بعض.

- ممكن، وممكن يكونوا كشفونا وبيدبرولنا حاجة، وممكن بيدبرولي أنا حاجة، لأن معروف إن أنا اللي هدخل الصفقة وأنا اللي بصنّع الأجهزة اللي هتتصدر في شركتي.
- طب والعمل إيه؟ ناوي على إيه يعني؟
- أنا حاليًّا مش ناوي على حاجة، لازم الفعل يكون منهم الأول عشان يكونلي رد فعل.
- طب هما ممكن يعملوا إيه أصلًا؟
- يعني، يخطفوني مثلًا!

جحظت عيناها من صدمتها وقالت:

- إيه؟! يخطفوك! للدرجادي؟
- أيوة، على ما الصفقة تعدي وبعد كدا يسيبوني، وعلى العموم دا مجرد توقع مش أكتر، وأنا مجهز نفسي للخطوة دي، أنا عملت توكيل لعمرو فهيقدر يتصرف بيه وهندخل الصفقة إن شاء الله.
- وأنت؟

قالتها بتلقائية شديدة، وبسرعةٍ لحقت نفسها وظلت ترمشُ كثيرًا وتتلعثم في حديثها، فابتسمتُ من أجل رَبكتها هذه.

- مش قصدي يعني، يعني قصدي يعني لو اتخطفت هتفضل كدا مخطوف ما حدش عارف عنك حاجة ويعملوا فيك اللي هما عايزينه؟

بابتسامة قلتُ:

ـ ما تقلقيش، أنا اتفقت مع عمرو ومالك لو دا حصل هيعملوا إيه، المهم أنتِ إبقي خلّي بالك من نفسك.

أومأوت برأسها مبتسمةً.

أصبحتُ لا أستطيع المقاومة، رؤيتها بعد تلك السنوات تُضعفُني، كنت أحسبُ أنني لن أصبح لينًا هكذا، حسبتُ أنني سأكون قويًّا قاسيًا صارمًا، وأن كل هذا هينٌ سهل فعله، ولكن ما كنت أحسبه هينًا بات عظيمًا، لا زلتُ أحنُ للنظرة بعينيها، بسمتها تضعفني، رغمًا عني أراها فأبتسم فأُجن، أصبحتُ غير قادر على هذا الهجر، جربتُ الهجر مرةً ولم أتحمله، هي تركت وهجرت، وأنا من الشوق والحنين بتُ أتتبع خُطاها، قلبي قاسَى، أموت كل يوم ألف مرةٍ وهي بعيدة، وأعلم أنني سأُذبح لو ذهبت واختارت غيري مرة ثانية، هو قرار! قرار آخذه فينتهي ألمي معه، وأنتهي من عذابي هذا وأسترد رُوحي من جديد.

«قالت: رُح بربّكَ من أمامي.
قال لها: بربِكِ أنتِ رُوحي.»

لقائلها.

انتهى حديثنا وقُمنا معًا، خرجنا من المقهى ووقفنا أمام الطريق، نظرتُ إليها موجهًا لها حديثي قائلًا:

- أنتِ هتمشي إزاي؟
- هركب تاكسي.
- ليه تاكسي؟ تعالي أنا هوصلك.

ارتبكت.

- لأ مش عايزة اتعبك، أنا هركب تاكسي وخلاص.
- اركبي ورا واعتبريني تاكسي، ولو عايزة تديني أجرة كمان مش همانع، يلا.

لم أترك لها مجالًا للنقاش، وذهبتُ من أمامها متجهًا إلى سيارتي، فجاءت ورائي، فتحتُ لها باب السيارة الخلفي لتركب، وبعد ذلك اتجهتُ إلى مقعدي أمام الدركسيون، وأدرتُ السيارة ولم تدر، كررتها ولم تدر، مرارًا أكررها ولم تدر.

- يادي الحظ، مش وقت بنزين يقطع خالص.
- ما فيش بنزين في العربية؟
- للأسف، مش عارف إزاي نسيت أفوّل؟
- طب هنعمل إيه دلوقتي؟
- هنعمل إيه يعني، هنشوف تاكسي بقى.هبطنا من السيارة ووقفنا على الطريق ننتظر أي سيارة أجرة، ولم نجد، مرت ساعة كاملةً لم تمر بها أي سيارة أجرة فارغة.
- لأ كدا كتير أنا زهقت، أنا هكلم عمرو يجي ياخدنا.

أومأت برأسها بدون أن تتفوّه، ابتعدتُ عنها قليلًا وهاتفتُ أخي وأخبرته بما حدث وطلبتُ منه أن يأتي ليأخذنا، أغلقتُ الهاتف معه ووقفتُ أمام سيارتي مستندًا بظهري إليها وهي واقفةً أمامي، ظل الصمتُ بيننا بضعُ دقائق حتى قطعته بقولها:

ـ أنا هروح للست اللي قاعدة هناك دي أشتري منها حاجة وأقعد جمبها شوية؛ أنا تعبت من الواقفة.

أشارت برأسها إلى هذه السيدة التي تجلس أمامنا على الرصيف المقابل لنا وأمامها بضاعةً تبيعها، أنهت جملتها ومرت من أمامي وذهبت لهذه السيدة وجلست على كرسي بجانبها، كنتُ أتابعها بعيني وأتابعُ بسمة عينيها وشفتيها مع هذه السيدة، إن النيران المشتعلة بقلبي ترغمني على أن آخذ قراري.

ذهبت رُوح إلى السيدة التي رأتها جالسة بمفردها تبيع بضاعتها وقالت:

ـ مساء الخير.

التفتت إليها السيدة وعلى وجهها البسمة قائلةً:

ـ مساء النور على عنيكِ يا قمر.

ـ ممكن أقعد جمب حضرتك؟

ـ يا سعدنا وهنانا، اقعدي يا ست البنات.

ابتسمت رُوح للُطف السيدة وللهجتها التي أيقنت أنها صعيدية، جلست رُوح بجوارها، قدمت لها السيدة بسكوتًا وقالت لها:

ـ خُدي من يدي يا زينة البنات، كُلي.

أخذت منها رُوح مبتسمةً:

ـ شكرًا لحضرتك، تسلميلي.

ـ يسلملي عُمرك يا بِتي، شيفاكي أنتِ والبيه اللي هناك واقفين من بدري.

ـ كنا مستنيين تاكسي ما لقيناش، لكن كلمنا حد هيجبلنا عربية ويجي.

ـ عال عال، قوليلي، أعملك شاي تشربيه؟

ـ لا كتر خيرك مش عايزة.

ـ لاه ليه؟ هي ست البنات هنشوفوها كل يوم ولا إيه؟

لم تنصت لها السيدة هذه وصنعت لها كُوبًا من الشاي وأعطته لها.

ـ شكرًا.قالت رُوح، فأجابتها السيدة:

ـ لا شكر على واجب يا بِتي.

ارتشفت منه رُوح بضع رشفات وهي تنتقل ببصرها إلى الطريق مرة وإلى ياسين مرة أخرى، لم تنتبه إلى السيدة وهي تتابع نظراتها له بابتسامة صافية ووجه بشوش إلى أن قالت لها:

ـ جوزك دا؟

شعرت رُوح بالحرج وردت عليها قائلةً:

ـ لأ مش جوزي.

ـ أمال إيه؟ حبيبك؟

خفق قلبها وابتلعت غصة في حلقها قائلةً:

ـ دا شريكي في الشغل مش أكتر.

ابتسمت السيدة قائلةً:

ـ مش أكتر كِيف يا بِتي؟ دا أنتِ عينك ما نزلتش من عليه.

نظرت إليها رُوح بصدمة، فتابعت السيدة قائلةً:

ـ عينك طافح فيها الندم أهي، والشوق غالِبها، عينك دبلانة منه وتقوليلي دا شَريكي في الشغل بس؟

بصدمةٍ قالت:

ـ باين دا كله في عنيا؟

ضحِكت السيدة وقالت:

ـ كُل حاجة في عنيكِ تتشاف، العيون فضاحة يا بِتي، بتشف اللي في القلوب، أضعف من قلبِك عينِك، العين تحب قبل القلب، العين اللي بتختار حبيبك، وبصة العين توجع القلب، بصة العين تجرح، تخربش في قلبِك، وفوق دا كله فضاحة ما بتسترش، الشوق يبان فيها، الندم يبان فيها، والوجع بردك يبان فيها، وما بتكدبش واصل، ياما اللسان بيكدب وياما القلب بيكدب والحقيقة تبان في العين، عشان كدا دايمًا عدو القلب العين.

شعرت رُوح بوخزة في صدرها من حديث تلك السيدة وتنهدت بعمق والتزمت الصمت.

استمر الصمت بينهما بضع دقائق حتى رأت رُوح ياسين يقترب منها، اندهشت كثيرًا ونظرت إلى الطريق ترى ما إن كان قد وصل عمرو أم لا، ولكن لم يأتِ بعد ليأتي ياسين لها، اقترب ياسين من السيدة وألقى التحية عليها وطلب منها كوبًا من الشاي، لبتسمت لبلاهتها وظلت تنظر إليه، أما هو فلم يلتفت إليها مطلقًا، صنعت له السيدة كوبًا من الشاي فأخذه ورجع إلى حيث كان، فالتفتت السيدة إلى رُوح قائلةً لها:

ـ ماله دِه؟ عنيه ليه مخاصمة عنيكِ؟

تعجبت رُوح من براعتها في قراءة الأعين، وتيقنت أنه لا فائدة من أن تُخبئ ما في قلبها، فكما قالت هذه السيدة، ‹‹العيون بتشف اللي في القلوب››، فتنهدت بشدة قائلةً بحزن:

ـ أصل أنا وجعته، وجعته كتير، فعشان كدا كِرهني.

ـ لاه ما بيكرهكيش، يكرهك كيف؟

ـ أيوة أنا عارفة إن هو خلاص ما بقاش بيحبني؛ اللي أنا عملته فيه برده مش شوية، فحتى لو كِرهني معذور.

ـ يكرهك كِيف وهو مخاصمِك؟ اللي بيخاصم عشمان، عشمان تجري عليه وتطيبي خاطره، لو كان كرهك كيف ما بتقولي كان رمى طوبتك، ما كانش هيخبي عنيه منيكي إكدِه، الكُره كُره والخصام عشم، وما فيش حد بيكره بيتعشم، وكيف يكرهك وأنتِ ساكنة في عنيه يابِتي؟! دا أنتِ محوطاكِ فيها جفونه ورموش عنيه بتضلل عليكِ، صالحيه يا بِتي وبكفياكِ هجر، الهجر مُر وأنتِ أكيد عارفة طعمه، أنتِ مش قد الفراق ووجعه، وأديكي أهو دوّقتيه الوجع وبقيتي أنتِ اللي بتقولي الـ ااه.

صمتَت! تفكر في حلٍّ يُرضي قلبها، حل يحل هذه المعضلة التي كانت سببًا في تشابكها، ساد الحزنُ أشتاتها وساد الظلام بداخلها، دقائق ووصل عمرو بسيارته وأشار لها ياسين بيده فودعت هذه السيدة الطيبة التي دخلت قلبها فورًا وعبّرت لها عن سعادتها بالجلوس والتحدث معها وغادرت.

لم تعد تقبل ولا تتحمّل هذه الخِطبة التي ما زادتها إلا حزنًا وتعاسة، كانت مغفلة، لم تكن على حق أبدًا، فقد ظلمت معها شخصًا ليس له أي ذنب، كانت لا بد أن تفكر أكثر من ذلك ولا تتسرع في قرارها، إن كان يُلام عليها في هذه القصة فاللّوم هو أنها تُحب، لذلك قررت إصلاح هذا الخطأ وهاتفت خطيبها وقالت له ما تريده.

ـ أنا آسفة، أنا مش هقدر أكمل في الخطوبة دي.

صُدم مما قالته فردّ عليها قائلًا: ليه؟! هو أنا عملت حاجة ضايقتك؟

ـ خالص والله، أنت إنسان محترم وما عملتش حاجة، هو العيب مني أنا، أنا اللي مش مرتاحة في العلاقة دي نهائي، ومش عايزة أظلمك أكتر من كدا، عشان كدا أنا بعتذر منك وبطلب منك تسامحني، أنا آسفة.

وأغلقت معه الهاتف ومن ثم تنهدت بأريحية وكأنها عادت لها الحياة من جديد وعاد لها حبيبها أيضًا.

«عزولٌ أنا بعد الرحيل، أفتقِدُ الناس وأنت الناس!»

ظللتُ أجوب الغرفة طوال اليوم أفكر وأفكر، أتردد تارةً وأصمم تارةً أخرى، لا أعلم أأسمعُ قلبي أم عقلي، عقلي يرفض وقلبي يقبل، كلاهما تعذب، أحدهما تعذب من الكبرياء والكرامة اللتين اصطحبهما طويلًا وأصبح لا يقدر على تحملهما أكثر من ذلك، والآخر تعذب من الصمت وطاعة الكبرياء والكرامة، وكلاهما يشتركان في العذاب من الفراق والهجر، تنهدتُ طويلًا، كثيرًا، إلى أن حسمتُ أمري، تناولتُ الهاتف بيدي وهاتفتُ عمرًا ومالِكًا وطلبتُ منهما أن يأتيا ويقابلاني في حديقة المنزل، أغلقتُ الهاتف معهما واتجهتُ إلى حديقة المنزل أنتظرهما، دام الانتظار نصف ساعة حتى رأيتهما يدلفان معًا من بوابة الڤيلا، اقتربا مني وجلسا أمامي، تناولنا بعض الموضوعات في البداية حتى قال عمرو:

ـ قُلنا بقى أنت جايبنا عايزنا في إيه؟

تنهدتُ بعمقٍ قائلًا:

ـ أنا قررت اتجوز.

ـ إيه؟!!

قالها الاثنان في آنٍ واحد بصدمة بالغة، قال مالِك:

ـ تتجوز؟! تتجوز يعني تتجوز؟

ـ أيوة اتجوز، في إيه مالكوا؟

قال عمرو:

ـ ما لناش، بس متفاجئين مش أكتر.

قال مالِك:

ـ هي مين دي اللي أنت عايز تتجوزها؟ وظهرت في حياتك إمتى؟

نظرتُ إليه قائلًا:

ـ رُوح، هتجوز رُوح.

نظرا إليّ بذهولٍ شديد، والصدمة ألجمتهما، وبعد بضع لحظاتٍ من الصمت قال عمرو:

ـ أنت بتتكلم بجد؟

ـ أيوة بجد.

ـ ليه يا ياسين؟ ليه؟

ـ بحبها.

بدأ صوت عمرو يعلو ونبرة الغضب بادية في صوته:

ـ هو إيه اللي بتحبها؟ واللي عملته فيك زمان؟ أنت نسيت ولا إيه؟ دي داست عليك، تقوم تيجي ترجعلها دلوقتي تاني وتتجوزها؟! أنت بتهزر؟

ابتلعتُ غصة في حلقي من حديثه، تدخَّل مالِك قائلًا:

ـ عمرو، إهدا مش كدا.ردّ عليه قائلًا:

ـ أهدا إيه بس؟ أنت مش سامع؟ عايز يتجوزها ويجبها هنا تعيش معانا، أنت مستوعب؟

اتجه مالِك ببصره إليّ قائلًا:

ـ ليه يا ياسين؟ وليه دلوقتي؟ إيه اللي فتح الموضوع تاني لحد ما يوصل معاك للجواز؟

- مش قادر، لا قادر أستحمل البُعد تاني بعد ما قربِت ولا قادر أستوعب فكرة إنها تروح لحد غيري تاني.
- واللي حصل زمان؟ خلاص سامِحت ونسيت؟
- لما بتبقى قدامي مش بفتكر حاجة خالص، ما بفتكرش غير حُبي ليها وإني ممكن أعمل أي حاجة عشان بس تفضل قاعدة معايا.
- طب ياسين فكر، أنت اتعذبت منها كتير.
- أنا فكرت كتير أوي وخلاص قررت.

تحدث عمرو بغضب:

- يعني إيه؟ أنت كدا بتعذب نفسك أكتر وعُمرك ماهتنسى وهيفضل غدرها ليك قصاد عينك مش هتنساه.
- أنا هقدر أتعامل مع دا كويس.
- يا بني كفاية وجع لرُوحك._ هي روحي!

تأفف كثيرًا وتبادل النظرات بينه وبين مالِك، فقال مالِك:

- طيب يا ياسين، اعمل اللي يريحك.
- قصدك اللي يوجعه.

تجاهله مالِك وتابع قائلًا:

- طلبتها للجواز ولا لسه؟
- لسه.
- وهتعمل دا إمتى؟
- بعد الصفقة ما تخلص إن شاء الله.

- طيب تمام، ربنا يوفقك إن شاء الله، طب أنت محتاجنا نساعدك في حاجة؟
- أيوة محتاجكوا.
- محتاجنا في إيه؟
- أولًا مش عايزك تقول الكلام دا لأميرة عشان ما تقولش لرُوح حاجة، ثانيًا عايزكوا تقولوا لماما وتقنعوها توافق.

قال عمرو:

- ماما توافق؟ أكيد بتهزر.
- عشان خاطري يا عمرو، حاول تقنعها.
- أقنعها إزاي وأنا مش مقتنع؟!
- أنا مقتنع ومرتاح، لو أنا غالي عندك بجد وتهمك راحتي ساعدني في الموضوع دا.

حوّل بصره بعيدًا عني متأففًا.

- عشاني يا عمرو، أرجوك.
- طيب خلاص.

ابتسمتُ، فتابع حديثه قائلًا:

- بس بعد موضوع الصفقة دا ما يخلص، مش عايزين نكد من دلوقتي في البيت.
- تمام ماشي.

أعلمُ أني سأخوضُ حربًا طويلة، ولكن لا أُمانع، أصبح لا يهمني شيء إلاها.

في اليوم التالي..

أنهى عمرو عمله وعاد للبيت، أبدل ملابسه في غرفته ونزل الدرج وجلس على أريكة وبيده هاتفه يعبث به، بعد قليل جاءت أميرة وجلست بجواره وقالت:

- سمعت إنك بتحب.نظر إليها متعجبًا وقال:
- مين قالك؟

ابتسمت ابتسامة بلهاء وقالت:

- جوزي حبيبي طبعًا.

نظر إليها بسخرية وصمت، لن يكذبها، يعلم أن سره معروف، تابعت هي وقالت:

- هي مين بقى؟
- وهو جوزك حبيبك ما قالكيش؟
- لأ قالي، قالي إنها واحدة بتشتغل في المطعم اللي بتروحوا تتغدوا فيه.
- براقو عليه.
- أنت مالَك يا بني غِلس ليه كدا؟

نظر إليها قائلًا:

- عايزاني أقولك إيه يعني؟
- اتكلم، فضفض معايا.
- ما فيش كلام يتقال يا أميرة.
- طب إيه؟ أنت مش ناوي تتجوزها؟

أجابها بسخرية قائلًا:

ـ أتجوزها إزاي وهي مخطوبة؟

صُدمت قائلةً:

ـ مخطوبة؟! إزاي؟

ـ هو مالِك ما قالكيش؟

ـ لأ ما قاليش.

ـ أديكي عرفتي أهو.

ـ يا حبيب قلب أختك.

نظر إليها وضحك لما تفوّهت به.

ـ طب هي بتحبك ولا لأ؟

ـ وهي لو بتحبني كانت اتخطبت ليه؟

ـ يمكن استنتك تيجي وأنت ما جتش، ففهمت مثلًا إنك ما بتحبهاش فاتخطبت.

ـ إيه اللي أنتِ بتقوليه دا؟ ولو فعلًا كدا، المفروض تتخطب لأي حد عشان اللي بتحبه ما بيحبهاش أو مش حاسس بيها؟

ـ عادي يا عمرو، اتقدملها حد مناسب، وقالت هتنساك بيه.

ـ ما اعرفش بقى. طب بقولك إيه، أنا عايزة أشوفها.

ـ تشوفيها يعني إيه؟

ـ يعني قوم إلبس وتعالى معايا نروح المطعم واشوفها.

ـ أنتِ اتجننتي يا أميرة؟ لأ طبعًا.

ـ يا بني اسمعني بس، احنا نروح ونعمل عليها لعبة.

- لعبة إيه دي؟
- احنا الاتنين نروح المطعم دا ونعمل إننا مخطوبين، ووقتها بقى لو هي بتحبك وكدا هتضايق وهيبان عليها وتعرف إذا كانت بتحبك ولا لأ، ولو لقيت وشها اتغير مثلًا أو حاجة إبقى قول مثلًا قدامها إن أنا أختك، أو إبقى روح قُلها دي أختي، وقتها ممكن هي تِحن من تاني بقى وتفسخ خطوبتها وتتقدملها أنت.

لم يعلم لماذا أحب هذه الخطة، رُبما لأنه يفتش عن أي شيء يوصله بها، حتى لو كان هذا الشيء في الحقيقة غير مُقنع وغير مقبول.

- موافق، يلا بينا.
- أيوة بقى. كلٌّ منهما صعد إلى غرفته وارتدى ملابسه سريعًا، وهبطا معًا واتجها إلى سيارة عمرو وانطلقا معًا، مرّ أكثر من شهرين ولم يرها، منذ اللحظة التي علِم بها عمرو أنها خُطبت لم يذهب للمطعم ولا مرة، لذلك كان مُشتاقًا إليها كثيرًا، شيء بداخله سعيد لأنه سيراها، وصلا إلى المطعم ودلف الاثنان معًا وجلسا على طاولة ما.
- أنا إيه اللي خلاني أسمع كلامك بس؟

قال عمرو، فأجابته أميرة قائلةً:

- إيه يا بني عادي، إهدا أنت بس وما تتوترش.
- ربنا يستر.
- هي فين بقى؟
- شوية وهتظهر.

ظل يُفتش عنها بعينيه، حتى ظهرت فجأة، ارتبك هو وأخفض بصره، وقال:

ـ أهيه جت، هي وراكي بس ما تبصيش.

ـ حاضر.

أما عن حبيبة، فعندما رأته تفاجأت وصُدمت، لم تتوقع أن تراه، أو أن يأتي مجددًا إلى هُنا، وكأنما علِم أنها فسخت خطبتها فعاد ودّه لها من جديد، ولكن! من الفتاة الجالسة أمامه؟ خفق قلبها بشدة، أيعقل أن تكون حبيبته؟ ولكن كيف؟ لا لا، لم تقل لها أميرة شيئًا من ذلك، أو أن أخاها يفكر في الزواج، ولكن ماذا لو لم تكن تعلم أميرة بشأن حبيبته هذه ولا أحد يعلم؟ ضاق صدرها وهي تنظر إليه، بربك ما هذه المعضلة؟تقدمت نحوه، كانت تريد أن ترى من هذه الفتاة التي تجرأ وأتى بها إلى هنا، وقفت أمامه قائلةً:

ـ أهلًا وسهلًا، تشربوا إيه؟

وهنا كانت الصدمة الكُبرى، رفعت أميرة بصرها إليها وتفاجأت كثيرًا، صُدمت حبيبة عندما رأتها، لم تكن تتوقع أبدًا أن تكون أميرة هي الجالسة أمام عمرو، وقفت أميرة تنظر إليها بصدمة شديدة قائلةً:

ـ حبيبة؟! أنتِ.. أنتِ بتعملي إيه هنا؟!

كُشف أمرها، ابتلعت غصة في حلقها تؤلمها كثيرًا وظلت تنظر إليها لا تعلم بماذا تُجيب، أما عمرو فصُدم عندما رأى أخته على معرفة بحبيبة، فوقف هو أيضًا وقال لأميرة:

ـ أنتِ تعرفيها يا أميرة؟

ـ أيوة طبعًا، دي.. دي حبيبة صاحبتي، وبنت داده صباح.

- إيه؟

قالها بصدمة شديدة، ماهذا الهراء؟ تفاجأ كثيرًا، معنى ذلك أن حبيبة ابنة الداده صباح هي أيضًا حبيبة حبيبته! ظل متفاجئًا بضع دقائق وما زال يوصل الخيوط ببعضها، أمسكت أميرة ذراع حبيبة وهزتها قائلةً:

- ردي عليا بتعملي إيه هنا؟ أنتِ بتشتغلي هنا؟

أجابتها ولمعة الحزن في عينيها قائلةً:

- أيوة، أنا بشتغل هنا.

- إزاي؟ ومن إمتى؟

صمتت ولم تُجب، أما أميرة فتذكرت مالِكًا يوم خطبة حبيبة عندما أرته صورتها فسألها هل تعمل بمطعم؟ نظرت إليها أميرة وقالت:

- بقالك كتير بتشتغلي هنا، صح؟ ردي عليا.

- أيوة بقالي كتير هنا.

- ليه يا حبيبة؟ وإزاي؟ والشركة اللي كنتِ بتشتغلي فيها؟

نظرت إليها بحزن قائلةً:

- رفدوني؛ عشان بنت تشتغل مكاني ومعاها واسطة، أنا ما كانش ليا حد، ما ليش واسطة ولا ضهر عشان يخلوني في مكاني في الشركة، فرفدوني، وما لقيتليش وظيفة غير في المطعم هنا.

- ليه دا كله؟ وليه ما قلتليش ولا قلتي لحد؟ ليه خبيتي علينا؟

- ما حبيتش حد فيكوا يبصلي بشفقة، ولا حبيت حد فيكوا يساعدني برده من باب الشفقة، اه أنا محتاجة سند في

الدنيا بس أنا سند نفسي، أنا هتعب واشقا بنفسي لنفسي، وهكبر من غير ما حد يساعدني عشان ما ليش حد غير أمي، اللي هي بتشتغل عندكوا يا أميرة.

وكزتها أميرة في كتفها قائلةً:

- إيه القرف اللي أنتِ بتقوليه دا؟ شفقة إيه ومامتك مين دي اللي بتشتغل عندنا ياحمارة أنتِ؟ أولًا أنتِ أختي مش صاحبتي، وعمري ما بصيتلك ولا هبصلك بشفقة أبدًا، أيوة كنت هحاول أساعدك ورُوح برده كانت هتحاول تساعدك، بس لو شايفة مساعدتنا ليكي إنها شفقة كنتِ تقدري ترفضيها، مش تشتغلي في مطعم من ورانا! وبصراحة الشغل هنا مش من مقامك، أنتِ بكالريوس تجارة وعندك خبرة في الشغل، المفروض تشتغلي في أكبر الشركات أو أكبر البنوك، دي حاجة، تاني حاجة مامتك مش بتشتغل عندنا وعيب أوي تقولي كدا، إحنا عمرنا ما شوفنا مامتك إنها بتشتغل عندنا، مامتك بتساعد ماما في شغل البيت وأقرب صديقة لماما مامتك، وأقرب حد لعمرو مامتك، مامتك تعرف حاجات عن عمرو ماما نفسها ما تعرفهاش، وأنتِ تقوليلي بتشتغل عندكوا!

خطفت حبيبة نظرة إلى عمرو الواقف أمامها ونظرت إلى أميرة، فتابعت أميرة قائلةً:

- عرفتي بقى إنك مغفلة وعبيطة؟

نظرت إليها حبيبة وقالت:

ـ أنا آسفة، آسفة أوي.

اقتربت منها أميرة واحتضنتها وقالت:

ـ يا هبلة أنتِ أختي.

ابتسمت حبيبة لحديثها واحتضنتها بشدة، وابتسم عمرو أيضًا ونظر إلى يديها وهي تحتضن أميرة فلم يرَ الدبلة بِها، اندهش كثيرًا وقال بدون وعي تام:

ـ استني، استنوا عشان أنا هسخسخ من الفرحة دلوقتي!ابتعدت حبيبة عن أميرة ونظرت إلى عمرو باندهاش، فتابع عمرو قائلًا:

ـ أنتِ فسختي خطوبتك؟!!

خطفت أميرة نظرة إلى يد حبيبة وشهقت قائلةً:

ـ إيه دا فين الدبلة؟ بجد فسختي خطوبتك؟

نظرت إليها قائلةً:

ـ أيوة، فسختها من يومين.

بفرحة قال عمرو:

ـ يا فرج الله!

نظرت إليه باندهاش وابتسمت بخجل، اقتربت أميرة من أذنها قائلةً:

ـ أصله واقع.

خجلت أكثر وطأطأت رأسها خجلًا ولم تنطق، فقال عمرو:

ـ حبيبة.

رفعت رأسها ونظرت إليه، لأول مرة تحب اسمها، فقط لأنه نطقه، قال لها عمرو:

ـ أنا بحبِك، تتجوزيني؟

كاد أن يُغشى عليها، احتلت الصدمة أرجاءها، وقف عقلها، لا تستطيع حتى أن تُفكر، وزادت أميرة صدمتها عندما قالت:

ـ اااه والله يا حبيبة بيحبك أوي، ما تعرفيش حاله كان عامل إزاي الأيام اللي فاتت وأنتِ مخطوبة.

لم تعرف كيف تُجيب وبما تُجيب، قد نسيت الكلام وكيف يُنطق.

ـ قُلتي إيه؟ ريّحيني.

أجابته بخجل وتوتر وارتباك قائلةً:

ـ مش عارفة، أنا.. أنا يعني المفروض أقول إيه؟

قالت أميرة:

ـ إنك موافقة طبعًا.

ـ و.. وماما؟ أنا ما اقدرش أقول أي حاجة في الموضوع دا من غير ما تعرف ماما.

قال لها عمرو:

ـ سهلة أوي، أنا أقدر أقولها وأقنعها بيا بسهولة، أصل أمك صاحبتي.

نظرت إليه بدهشة من آخر جملة تفوّه بها، ومن ثم تحول الاندهاش لضَحك، ضَحكوا جميعًا حتى قال عمرو:

- يلا روحي غيري هدومك وتعالي معايا عشان هطلب إيدك قدامها.
- إيه؟ لأ طبعًا مش هينفع، ومش هينفع أسيب شغلي.
- شغل إيه بقى ما خلاص، أنتِ مستقيلة، ما عنديش بنات تشتغل.

وقبل أن تنطق دفعتها أميرة قائلةً:

- يلا بقى كفاية كلام وروحي غيري هدومك، يلا.

ذهبت حبيبة من أمامهما وأبدلت ملابسها وقلبها كاد أن يُخلع من صدرها من شدة نبضاته، أبدلت ملابسها وغادر ثلاثتهم المطعم وركبت حبيبة في سيارة عمرو بالخلف وبجانبها أميرة، كان عمرو سعيدًا للغاية، يكاد يظن أنه يحلم من شدة سعادته، وصل ثلاثتهم الڤيلا ودلفوا سريعًا إلى البيت، وأخذ عمرو ينادي والدته ووالدة حبيبة.

- ياماماااا، ياداااادا، إنتوا فين؟ يا أهل الدار.

هرولت والدته من المطبخ لترى ماذا جرى، ومن خلفها صباح.

- إيه في إيه؟

قالتها صباح، ومن ثم صُدمت عندما رأت ابنتها.

- حبيبة؟ إيه يا بنتي اللي جابك هنا؟! في حاجة حصلت ولا إيه؟!

تقدم عمرو منها ووقف بجوارها وقال:

- عارفة مين دي؟

وأشار لحبيبة، فأجابته صباح قائلةً:

ـ إيه ياوَلا اللي أنت بتقوله دا؟ دي بنتي، أنت بتسألني أنا عن بنتي؟!

ـ مش قصدي يا صباح، ما تخرجنيش من المود الرومانسي اللي أنا فيه.

ـ الله! فيه إيه يا ولاد؟

قالتها نجوى والدته، فردّ عليها قائلًا:

ـ فيه إني قررت أكمل نص ديني أخيرًا وأتجوز، وبطلب منك يا داده إيد حبيبة، إيه رأيك؟

تسمرت مكانها مما قال، ظلت تنظر إليه ولا زالت لا تفهمُ شيئًا، كحال والدته أيضًا.

ـ أنت بتقول إيه يا بني؟

ـ بقول عايز أتجوز حبيبة يا داده، إيه رأيك؟

ـ رأيي في إيه؟ أنت يا وَلا مش قايلي إنك بتحب واحدة؟ لحقت تنساها؟

ـ لأ يا داده، ما هو اللي أنتِ مش فهماه إن اللي بحبها هي بنتك، هي دي.

وأشار بيده إلى حبيبة، وتابع قائلًا: _ هي دي اللي كانت مطيرة النوم من عيني، هي دي اللي سرقتني من نفسي وراحت اتخطبت لغيري.

ثم نظر إلى صباح وتابع بضيقٍ مصطنع قائلًا:

ـ وأنتِ رحتي ووافقتي يا صباح.

كانت حبيبة في موقف لا تُحسد عليه، كادت تموت من خجلها، وجّه عمرو حديثه لوالدته قائلًا:

ـ إيه رأيك يا ماما؟ موافقة ولا إيه؟

أجابته على الرغم من صدمتها قائلةً:

ـ والله يا بني أنا مُنى عيني أشوفك متجوز وأشوف عيالك، وما دام دي اللي حاببها ونقاوة عينك وقلبك مش هقول لأ، دي كفاية عندي إنها بنت صباح.

ـ حلو أوي، وأنتِ يا داده؟ ها رأيك إيه؟

ـ والله يا بني ما عارفة أقولك إيه. قولي إنك موافقة.

ـ يا بني مش بالساهل كدا؟ إنتوا فين وإحنا فين؟

ـ كلام إيه دا اللي بتقوليه يا صباح؟

قالتها والدته ومن ثم تابعت:

ـ من إمتى فيه بيننا الكلام دا؟ ولا من إمتى بنبص مين تحت ومين فوق؟ كلنا ولاد تسعة يا صباح، كلنا زي بعض.

ابتسمت صباح لحديثها فقال عمرو:

ـ ها بقى قُلتي إيه يا داده؟

ـ هقول إيه يا بني؟ هو أنا أقدر أرفضك برده؟ دا يوم المُنى.

ـ يا ألف بركة.

قالها عمرو بفرحة وأمسك يدي صباح وقبّلها.

عمت الفرحة أرجاء المكان، أطلقت أميرة زغرودة ومن ثم والدتها ومن ثم والدة حبيبة، وكانت حبيبة واقفة تملؤها الفرحة الممزوجة بالخجل، جلسوا جميعًا واحتفلوا بعمرو وحبيبة، هاتفت أميرة مالِكًا

ليأتي ويحتفل معهم وحكت له كل ما حدث اليوم، وهاتفت أيضًا رُوحًا وأبلغتها بما حدث، كانت روح مصدومة جدًّا، وتحدثت مع حبيبة أيضًا وفهمت منها ما حدث، وعاتبتها على عملها في المطعم وعلى ما كانت تظنه منهما، ثم باركت لها وتمنت لو أنها معها اليوم، هاتف عمرو ياسين ولكن هاتفه كان مُغلقًا، كررها مرارًا وتكرارًا وما زال هاتفه مغلقًا، استغرب كثيرًا، ولكن ترك مهاتفته وقضى اليوم مع من أحب.

ـ شوفي حبيبة عاملة إزاي؟ مش تقوليلي إسراء.قالها عمرو لوالدته، فوكزته والدته في كتفه قائلةً:

ـ إتلم يا وَلا.

قهقه عمرو كثيرًا، وها هو اليوم فؤاده قد ارتوى من بعد ظمأ.

استيقظ الجميع في اليوم التالي فَرحين، يتذكرون الأُمسية التي قضوها ليلة أمس، استيقظ عمرو من نومه سعيدًا، صلّى فرضه وارتدى ملابسه ونزل الدرج، رأى أخته ووالدته جالستين على طاولة السفرة يتناولان وجبة الفطور معًا.

ـ يا صباح الخير.

ـ صباح النور يا عريس.

قالتها أميرة بمرح.

ـ عاملين إيه؟

ـ كويسين.

ـ بقولك إيه يا ماما؟

- قول.

ردّت والدته، فقال عمرو:

- عايزك بقى تقعدي مع داده صباح وتتفقوا على كل حاجة بقى بسرعة كدا، ويا ريت الجواز برده يبقى بسرعة، يعني شهرين كدا ونتجوز.
- شهرين؟!

قالتها والدته بصدمة، فقال:

- كتير صح؟ أنا عارف، نمشيها أسبوعين؟ حلو أسبوعين.
- إيه يا وَلا مالك؟ مستعجل ليه كدا؟ إهدا شوية.
- يا ماما بحبها.
- ماشي حِبّها بس مش كدا.
- خلاص إتفقي معاها هتعملوا إيه وبلغيني.
- أهو كدا، ماشي.
- ماما، إحنا طبعًا هنشيل كل حاجة، هما ما عليهومش حاجة.
- أيوة يا بني عارفة طبعًا.
- طيب بقى همشي عشان ياسين ما يفتحليش محضر لما أوصل الشركة.
- ياسين لسه نايم أصلًا.قالتها أميرة، تعجب عمرو كثيرًا وقال:
- نايم لحد دلوقتي؟! غريبة أوي، طب أنا هطلع أصحيه.

تركهما وصعد الدرج واتجه إلى غرفة ياسين وفتحها، واندهش عندما رأى فراشه مُرتبًا، معنى هذا أنه لم يأتِ أمس، لم ينم بالبيت! نزل الدرج واتجه إلى حيث تجلس والدته وأخته وقال لهما:

- ياسين مش نايم فوق، سريره مترتب، يعني ما جاش البيت أصلًا_ أمال هيكون راح فين؟ يكون بات في الشركة؟

قالت والدته، فأجابها:

- مش عارف.

أخرج هاتفه من جيب بنطاله وهاتَفَه، ولكن كما كان في ليلة أمس هاتفه مغلق، هُنا خفق قلب عمرو وظن أنه كما توقع ياسين مُسبقًا، أنه قد خُطف! _ طب أنا همشي هروح الشركة ولو لقيته هناك هبلغكوا.

- ماشي يا بني.

- يلا سلام.

وتركهما وغادر المنزل وهاتف مالِكًا في طريقه:

- ألو.

- أيوة يا مالِك، أنت فين؟

- أنا في الشركة.

- ياسين عندك؟

- لا لسه ما جاش.

- ياسين اتخطف يا مالِك.

صُدم مالِك كثيرًا.

- أنت بتقول إيه؟!

ـ اللي بقولهولك دا، ياسين ما جاش البيت امبارح ولا نام في البيت وتليفونه من امبارح مقفول ومش عندك في الشركة، يبقى اتخطف.

ـ يا بني لأ ما تقُلش كدا، إن شاء الله لأ، أنت فين دلوقتي؟

ـ أنا جاي في الطريق.

ـ طب تعالى وبعدين نشوف ياسين راح فين.أغلق مالِك معه الهاتف وحاول الاتصال بياسين ولكن ـ كما قال عمرو ـ هاتفه مغلق، خرج من مكتبه واتجه لمكتب ياسين لعله هُنا وهو لا يعلم، ولكنه أيضًا ليس موجودًا هُنا، قطع تفكيره رنين هاتفه، كانت أميرة هي من تُهاتفه، ردّ عليها:

ـ ألو، أيوة يا أميرة.

ـ أيوة يا مالِك الحقني.

ـ إيه خير فيه إيه؟

ـ مامة رُوح كلمتني دلوقتي، بتقولي رُوح ما رجعتش البيت من امبارح.

هنا تأكد مالِك من حقيقة خطف ياسين، ورُوح.

في مكانٍ آخر غير معلوم..

فتحتُ عيني بإرهاق، كنت أشعر بألم شديد في رأسي، حاولتُ أن أتحرك ولكن لم أستطع، لحظات وأيقنتُ أني مقيد، يداي وقدماي مقيدون، وساند ظهري إلى عمود خلفي يصل للسقف، ورأيتُ رجالًا يملؤون المكان، علمتُ أنني ـ كما توقعتُ مسبقًا ـ خُطفت، ثوانٍ ودلف مهران السيوفي وإبراهيم الهواري ووقفا أمامي، قال مهران:

ـ أهلًا يا ياسين بيه، إزيك؟

ابتسمتُ بسخرية وقُلتُ له:

ـ لأ زعلان، لأ إخص عليكوا بجد، اتأخرتوا عليا ليه؟ دا أنا كنت مستنيكوا من زمان.

قال إبراهيم:

ـ معلش بقى اعذرنا، ما كناش فاضيين، بس في الآخر أهو عملنالك اللي أنت عايزه وجِبناك.

ـ لأ براڤو، أحييكوا والله، بس خلينا في المهم، أنا هنا ليه؟

نظر مهران وإبراهيم إلى بعضيهما وقال مهران:

ـ فين الأجهزة اللي أنت صنعتها؟

ـ أجهزة إيه؟

ـ ابتدينا.

قالها إبراهيم، وتابع:

ـ الأجهزة اللي عايز تدخل بيها الصفقة.

ـ آه افتكرت، مخزّنها.

ـ مخزّنها فين؟

ـ وأنت مالك؟

ما إن أنهيتُ جُملتي حتى تلقيتُ ضربة قوية في وجهي من أحد رجالهم الواقف بجانبي، أُدميت شفتاي على إثر الضربة، فنظرتُ إليهم بغضب شديد، تابع إبراهيم قائلًا:

ـ انقذ نفسك وقول البضاعة بتاعتك مخزنها فين، وإلا والله ما هتطلع من هنا حي.

لم أُجب، فقال مهران بصوتٍ غاضب:

ـ انطق يَلا!

ظللتُ صامتًا، فتابع مهران قائلًا:

ـ كدا؟ يبقى أنت اللي جنيت على نفسك، ظبطوه يا رجالة.

ما إن خرج مهران وإبراهيم من هذا المكان، التفّ حولي رجالهم وأبرحوني ضربًا، لم أستطع أن أفعل شيئًا غير التأوّه من إثر الضرب، حتى غِبتُ عن الوعي.

اجتمعت كل الأسرة في ڤيلا ياسين، وبدأ النحيب على اختطافه.

ـ يا حبيبي يا بني ، خطفوه ليه؟ خطفوه ليه اللي ما يعرفوش ربنا دول؟

قالت نجوى بهلع وبكاء، ردّ عليها عمرو قائلًا:

ـ يا ماما اهدي عشان خاطري، هنوصله والله ما تقلقيش.

ـ توصلوله إزاي وإمتى؟ ولما توصلوله هيكون ميت ولا لسه عايش؟ يا قلب أمك يا ياسين.

- يا ماما من فضلك، مش هيحصله حاجة إن شاء الله، وبعدين ياسين كان عامل حسابه على كدا، وقالنا نتصرف إزاي لما يتخطف، ما تقلقيش بقى.لم ترد عليه وأكملت بكاءها ونحيبها وبجانبها أميرة وصباح، ثلاثتهم يبكين، نظر عمرو إلى مالِك وهمس له قائلًا:

- هنقولها دلوقتي ولا هنعمل إيه؟

- هنقولها بقى هنعمل إيه يعني.

- طب قُلها أنت.

- ماشي.

نظر مالِك إلى نجوى وقال لها:

- يا ماما من فضلك، محتاجين منك خدمة.

أجابته من وسط دموعها قائلةً:

- عايزين إيه؟

- دلوقتي رُوح هي كمان اتخطفت، ومامتها قاعدة لوحدها، فيعني بقول لو ينفع نجيبها هنا معانا، ما ينفعش تكون لوحدها برده، لحد بس ما نلاقي رُوح وياسين.

تغيرت ملامحها وتحولت لغضب، ولكن كتمت الغضب داخلها ولم تُجب، فقال عمرو:

- يا ماما دي سِت برده ولوحدها، ما ينفعش نسيبها كدا، وأنتِ تعرفي فِي الأصول كويس.

- وهما ما عرفوش الأصول ليه لما كسروا قلب ابني؟ هي بنتها السبب في كل اللي احنا فيه دلوقتي.

ـ يا ماما مش وقته الكلام دا، المهم السِت اللي قاعدة لوحدها دي.

تنهدت نجوى بضيق وقالت:

ـ إعملوا اللي إنتوا عايزينه.

ابتسم مالِك وعمرو، كانا يعلمان أن قلبها سيرق من أجل هذه السيدة التي لا ذنب لها في أي شيء، وذهبا معًا لبيتها واصطحباها لڤيلا ياسين، في هذا الوقت تيقنت والدة رُوح ـالتي تُدعى فاطِمةـ أن ابنتها قد خَسرت ياسين وعائلته.

ذهب عمرو ومالِك إلى قسم الشرطة وقد أبلغا عن اختفاء ياسين ورُوح وقدما شكوى في مهران السيوفي وإبراهيم الهواري، وقدما رسالة التهديد اللي وصلت لياسين كدليل ضدهم، وأخبراهم أيضًا أنهما يُراقبانهم ويُراقبان رجالهم.

تعاونت الشرطة معهما وتعهدت لهما أنهم سيصلون إلى ياسين ورُوح في أقرب وقت.

في اليوم التالي..

استيقظتُ في الصباح، استيقظتُ أكادُ لا أرى شيئًا من كثرة آلام رأسي ولا أستطيع تحريك جسدي من كثرة الضرب الذي تناولته بالأمس، كنت مُلقى على الأرض، حاولتُ أن أنهض وأجلس ولكن لم أستطع،

قيود يدي وقدمي لا تساعدني على النهوض، بعد قليل دلف بعضٌ من الرجال، وخلفهم مهران وإبراهيم، اقترب مني أحد الرجال وأمسكني من قميصي وبعنف قام بشدّي وأعدل من جلستي، تأوهت كثيرًا وأسندتُ ظهري إلى العامود خلفي، قال مهران:

ـ أتمنى تكون الخدمة عجبتك عندنا.

ابتسمتُ له بسخرية قائلًا:

ـ لا والله مش أوي، رجالتك إيدهم خفيفة ما بيعرفوش يضربوا.

قهقه عاليًا وقال:

ـ وماله، يتعلموا فيك لحد ما إيديهم تتقل.

قال إبراهيم:

ـ يا ريت تكون عِقلت واشتريت عُمرك وتقولنا مكان بضاعتك فين.

ـ ارحموا نفسكوا وما توجعوش دماغكم ودماغي، أنا مش قايل على حاجة، حتى لو وصلت إنكوا تقتلوني، برده مش هقول حاجة، والصفقة دي هاخدها هاخدها، سواء كنت حي أو ميت.

قهقه الاثنان عاليًا وقال مهران:

ـ دا في أحلامك بس يا ياسين بيه، مش حتة عيّل زيك اللي يكسبنا ويعلّم علينا.

ابتسمتُ له بسخرية وقُلتُ له:

ـ أنا علّمت عليكوا يا باشا خلاص، وإلا ما كنتوش جبتوني هنا.

غضب مهران كثيرًا وفجأة أخرج سلاحًا من جيبه وصوبه تجاهي قائلًا:

ـ أنا هوريك يا كلب مين اللي هيعلّم على التاني دلوقتي.

وقبل أن يطلق رصاصهُ أمسك إبراهيم منه السلاح وقال له:

ـ بتعمل إيه يامهران بس؟ إهدا مش دلوقتي، ناخد منه اللي إحنا عايزينه وبعدين نقتله.

تنهد مهران بغضب وأدخل مسدسه في جيبه كما كمان، وقال إبراهيم:

ـ دلوقتي إحنا جايبينلك مفاجأة، عايزينك تشوفها وبعدها نشوف إذا كنت هتقول على مكان الأجهزة بتاعتك ولا لأ.

وبعد ذلك وجّه حديثه لرجاله وقال:

ـ دخلوها.

تعجبتُ كثيرًا من حديثه ومن مفاجأته التي قال عنها، ولكن ما هي إلا ثوانٍ ودخل رجاله برُوح، برُوحي! خُلعت رُوحي أنا في تلك اللحظة، كانت تبكي، يظهر على وجهها الإجهاد والتعب، تقدم الرجال بها وألقوها أمامي، وقعت على الأرض تبكي، وجاء أحد الرجال بحبالٍ وقيّد يديها وقدميها، ملأني الغضب والخوف في تلك اللحظة ونظرتُ إلى الرجلين وقُلتُ لهما:

ـ والله نهايتكوا هتكون على إيدي يا كلاب.

قهقه إبراهيم وقال:

ـ بس يا شاطر كدا عيب، خليك في اللي قدامك دي وبصلها كويس، وفكر كويس إحنا ممكن نعمل فيك وفيها إيه.

قال جملته هذه وبعدها خلا المكان منهما ومن رجالهما، ولم يبقَ غيري وغيرها، قُلتُ لها بخوفٍ وقلق:

ـ أنتِ كويسة؟ عملوا فيكِ حاجة؟

هزت رأسها نافية وهي تبكي فتابعتُ:

ـ جابوكي إمتى هنا؟

ـ أول امبارح وأنا راجعة من الشركة، فيه عربية وقفت قدام عربيتي ونزل منها رجالة كدا ونزلوني من عربيتي ورشوا حاجة على وشي غيبتني عن الوعي، ما فقتش غير وأنا هنا.

نظرتُ إليها بحزن، فقالت لي:

ـ هما كدا كشفونا، صح؟ عرفوا إننا بنشتغل مع بعض؟

أسندتُ رأسي إلى العامود وأجبتُها بصوتٍ يشبه الهمس قائلًا:

ـ أتمنى يكونوا كشفوا شغلنا مع بعض، وما يكونوش كشفوا إنك نقطة ضعفي.

ـ حضرتك بتقولي إيه؟!

قالها عمرو بصدمة لفاطمة والدة رُوح، فردت عليه وهي تبكي قائلةً:

ـ بقول ما تظلموش بنتي في أي حاجة حصلت ليكوا ولياسين، أبوها السبب.

كشفت والدة رُوح أمامهم الحقيقة كاملةً، لم تُرد أن يظلمها أحدٌ بعد الآن، يكفيها ما تعرضت له من ظلم، لم تُرد أن ترى في عيني نجوى كُرهها لابنتها أمامها، لذلك كان لا بُد عليها أن تقول لهم ماذا حدث منذ خمس سنوات.

قال عمرو بصدمة:

ـ يعني.. يعني رُوح عملت كدا عشان ياسين؟

ـ أيوة يا بني.

قد تملكت الصدمة من الجميع، وفي وسط هذه الصدمات نظر مالِك إلى أميرة وقال:

ـ كنتِ عارفة، صح؟ أيوة كنتِ عارفة، هو دا اللي أنتِ كنتِ مخبياه.

نظرت إليه وهي تبكي ولم تُجب، فصُدم عمرو مما قاله مالِك ونظر إلى أميرة ووجه حديثه لها:

ـ كنتِ عارفة؟ كنتِ عارفة وخبيتي وما قُلتيش لحد؟ ليه يا أميرة؟ ليه؟ شوفتي ياسين بيتعذب قدامك وما قُلتيش ليه؟

ازداد نحيبها وقالت:

ـ أنا وعدت رُوح إني مش هقول لحد، ما كانش ينفع أقول لياسين حاجة، حاولت كتير لكن هي كانت بتمنعني في كل مرة، ما كانش سهل عليا أخبي وأتعامل مع ياسين عادي، لكن ما قدرتش أعمل غير كدا.

نظر إليها عمرو ومالِك بضيق، أما عن نجوى، فبكت كثيرًا، في لحظة تحولت كل الضغينة في قلبها لرُوح إلى ألم، وكما كانت تبكي ياسين أصبحت تبكي ياسين ورُوح.

في المساء..

ـ أنا خايفة على ماما أوي.

قالت رُوح، أجبتُها:

ـ ما تخافيش، مستحيل عمرو ومالِك يسيبوها لوحدها.

ـ يا رب.

عمّ الصمت بينهما بضع لحظات حتى قالت رُوح:

ـ هما هيعملوا فينا إيه؟

ـ عِلمي عِلمك.

ـ طب ناوي تعمل إيه؟ هتقولهم على مكان المخزن؟

تنهدتُ بأسى قائلًا:

ـ مش عارف.

ـ مش عارف يعني إيه؟ أكيد لأ طبعًا.

وقبل أن أجيبها، سمعنا صوت الباب يُفتَح، دخل رجالهما ومن خلفهم هما الاثنان، مهران وإبراهيم، تقدموا نحونا وقال إبراهيم:

ـ ها يا ياسين بيه، فكرت؟

أومأتُ برأسي له، فابتسم قائلًا:

ـ عال عال، هتقولنا بقى مكان المخزن فين؟

ـ أيوة هقول بس بشرط.

اعتلت الصدمة وجه رُوح، وقال إبراهيم:

ـ شرط إيه دا؟

ـ لما تشوف حلمة ودنك هبقى أقولك.

غضب كثيرًا وقال:

ـ لا أنت زودتها أوي.

وتقدّم من رُوح وجرّها من حِجابها فظلت تصرخ ويصرخ فؤادي معها:

ـ سيبها يا حيوان، سيبها واعمل فيا اللي أنت عايزه، جاي تتشطر على بنت يا كلب؟

تقدم مهران من أحد رجاله وأخذ منه سِكينًا، وبعد ذلك اقترب من رُوح وانخفض إليها ووضع السكين على رقبتِها ووجّه حديثه لي قائلًا:

ـ إلا قُلي يا ياسين، أنا سمعت إنكوا كنتوا بتحبوا بعض زمان، مش كدا؟

حدث ما كنتُ أخافُ حدوثه، تابع قائلًا:

- بس يا عيني بقى هي رمتك زمان زي الكلب، وراحت للي أغنى منك، طلعت بتحب الفلوس وممكن تعمل أي حاجة عشانها، صح يا رُوح؟

نظرت إليه رُوح والغضب والدموع في عينيها ولم تُجب، فقال:

- بس هو بقى طلع حمار ومش ذكي زيك، وفِضل ماشي ورا أوهام الحُب لحد مابقى زي مانتِ شايفة كدا.

وخطف نظرة إليّ وتابع كلامه:

- جسم ما فيش فيه دبة حياة.

ابتلعتُ غصة في حلقي وحاولتُ أن أُهدئ من خفقان قلبي.

- عشان كدا بقى إحنا هنعاقبكوا إنتوا الاتنين، ندبحك؛ عشان نعلمه إزاي ما يكونش حمار، وفي نفس الوقت نقتله وهو حي.

وفجأة قرّب السكين إلى رقبتِها أكثر، كادت أن تُخنق عندما فعل هذا، وكِدت أنا أموت، وصرختُ بأعلى صوتٍ لي.

- إبعدوا عنها، إعملوا اللي إنتوا عايزينه فيا أنا، هي ما لهاش ذنب في أي حاجة، إبعدوا عنها يا كلاب.

فقال إبراهيم:

- قُلنالك انجد نفسك وانجدها معاك وقُلنا مكان المخزن فين.

صمتتُ ثوانٍ أُفكر في حلٍّ لهذه المعضلة وبعد ذلك قُلتُ:

- ماشي موافق هقول.

- قول.

قال مهران، فقلتُ له:

- رُوح تمشي من هنا وأنا هقولكوا على كل حاجة.
- أنت بتستعبط يلاه؟
- أنا قُلت اللي عندي، رُوح تمشي وأنا هقولكوا مكان المخزن فين. وغير دا هيحصل مش هتعرفوا أي حاجة، حتى لو قتلتوني.

زفر كلٌّ منهما وتبادلا النظرات معًا وبعد ذلك قال إبراهيم:

- ماشي يا ياسين، بكره الصبح هنمشيها من هنا ونرجعها بيتها وبعد كدا لو ما قُلتش على مكان المخزن فين وديني لاقتلك واقتل أهلك كلهم.

أنهى جملته هذه وبعد ذلك غادر الاثنان، كانت رُوح ملقاة على الأرض تبكي، فقط تبكي، وأنا ما كان مني غير أن أُهدئ من روعها بنظراتي، هذا جُلُّ ما أستطيع.

كان عمرو واقفاً في حديقة الڤيلا يهاتف رجلًا من رجاله، وبعد أن أغلق معه الاتصال هاتف مصطفى ضابط الشرطة الذي يتعاون معهما.

- ألو.
- أيوة يا فندم، أنا عمرو الزيني.
- أهلًا يا عمرو، خير فيه حاجة حصلت؟
- أيوة، عرفنا مكان ياسين فين.
- بجد؟ فين؟

- واحد من رجالتي لسه قافل معايا وقالي إنه فِضل يراقب واحد من رجالة مهران السيوفي ولقاه رايح مكان شبه مخزن كدا على الطريق الصحراوي، وقالي إنه شاف رجالة كتير من رجالة مهران وإبراهيم واقفين حراسة على المكان.
- كدا فعلًا احتمال كبير يكون ياسين هناك.
- طب وهنعمل إيه يا فندم؟
- بكره الصبح إن شاء الله هنهجم على المكان هناك بقواتنا، والراجل اللي كلمك دا هاته عشان هيبقى الدليل بتاعتنا، وإن شاء الله خير ونلاقيهم.
- يا رب، شكرًا لخدماتك يا فندم.
- العفو دا واجبي، مع السلامة.

أغلق عمرو معه الهاتف وتنهد بإرهاق، وفجأة وجد يدًا توضع على كتفه، التفت وراءه ليرى من، فكانت حبيبة وبيدها كوب من النسكافيه، ابتسمت ومدّت يدها له، فردّ على ابتسامتها بابتسامة وأخذه منها.

- متشكر جدًّا، أنا فعلا كنت محتاج نسكافيه عشان أفوق.
- شكلك مُرهق وتعبان.
- أوي، بس هعمل إيه؟
- فيه جديد؟

تنهد قائلًا:

- أيوة، تقريبًا كدا لقينا مكان ياسين ورُوح.

بدهشةً ردّت:

ـ بجد؟!

ـ أيوة، بس ما تقوليش لحد، لحد ما نتأكد ونشوف هما في المكان اللي إحنا لقيناه ولا لأ.

ـ إن شاء الله خير.

ـ يا رب.

صمتا بضع دقائق حتى قال عمرو:

ـ تفتكري ياسين ورُوح دلوقتي بيعملوا إيه؟ قاعدين إزاي مع بعض؟

ابتسمت وقالت:

ـ زي مانا وأنت قاعدين مع بعض دلوقتي.

قال مازحًا:

ـ بيشربوا نسكافيه يعني؟

ضحكَت قائلًا:

ـ لأ مش قصدي، قصدي مرتاحين.

قال لها:

ـ يعني أنتِ مرتاحة معايا يا حبيبة؟

أومأت برأسها خجلًا، ولكن فجأةً قال:

ـ مرتاحة فين بس يا حبيبة؟ إحنا لحقنا نكون مع بعض أصلًا؟ دا أنا يوم ما قررت نكون مع بعض أخويا اتخطف، فين الراحة في الموضوع؟

نظرت إليه شزرًا وتركته وغادرت من أمامه قائلةً:

ـ فصيل.

في صباح اليوم التالي..

لم ينم ياسين طوال الليل، باتت الكلمات التي قالها مهران كالجمر في قلبه، لم يستطع النوم التغلب على جفنيه، استيقظت رُوح على مهلٍ، ما زالت ملقاة على الأرض، اعتدلت في جلستها ونظرت إلي، بادلتها النظر حتى قالت:

ـ أنت فعلًا هتقولهم على مكان المخزن؟

قلتُ لها:

ـ عندك حل تاني؟

ـ ما تعملش كدا، ما تضيعش تعبنا أرجوك.

ما كان يشغلني غير حديث مهران هذا، لا أستطيع إخراجه من عقلي، قلتُ لها:

ـ أنا وعدتك زمان إني عمري ما هعمل حاجة تئذيكي، فاكرة ولا لأ يا مدام؟

نظرت إلي بتعجب وكأنها لم تتوقع أني سوف أُفتش في الماضي، تابعتُ حديثي قائلًا:

ـ وحققت وعدي معاكِ وعمري ما أذيتك، عمري ما دستلك على طرف، صح ولا لأ؟ ليه تئذيني؟ لا، أنتِ دبحتيني، عايرتيني بفقري ورحتي اتجوزتي حاتم الصياد، حاتم

اللي كان أكبر منك بعشرين سنة، واتقدملك وهو عارف إنه مكتوب كتابك، وأبوكي بكل جبروت جابني يقولي إن واحد اتقدملك وأنتِ على ذمتي، وإني لازم أطلقك عشان جالك اللي يستحقك، وهددني إني لو ما طلقتكيش هيرفع قضية خلع، فاكرة وقتها عملتي إيه؟ اتصلتي بيا وكلمتيني وأنتِ بتعيطي، فاكرة قُلتيلي إيه؟

سألتها؟ وظلت تنظر إليّ وهي صامتة، تذكرتُ حديثها، ما زال يتردد في أذني.

- ألو.أجابت باكية:
- والله ما هسيبَك، والله ما هتخلى عنك أبدًا وهفضل معاك، خليك جامد وقوي حتى لو هتيجي تاخدني دلوقتي من بيت أبويا، دا حقك، أنا مراتك، ومش هتجوز غيرك، ومش هيكون حد أبو ولادي غيرك، ياسين، أنا بحبك، ما تخليش الكلام دا يهزك بالله، إجمد، أنا عمري ما هسيب إيدك أبدًا.

نظرتُ إليها وتابعت:

- افتكرتي ولا لسه؟ إزاي قدرتي تكوني متناقضة وتقوليلي الكلام وعكسه؟ إزاي قدرتي تخدعيني؟ طب ليه؟ أنا عملتلك إيه طيب؟ أنتِ قُلتيلي إنك مش هتتجوزي حد غيري، طب ليه ضحكتي عليا ورحتي اتجوزتي غيري فعلًا؟ ليه؟ أنا مش مسامحك على كل لحظة اتوجعت فيها بسببك يا مدام رُوح.

نزلت دموعها وهي تنظر إليّ بضعف، وتلألأت الدموع في عيني، أغمضتها وأسندتُ رأسي إلى الوراء.

لحظاتٌ مرّ بها الصمت حتى قالت:

ـ أنا اتجوزت حاتم جواز صوري، على الورق بس.

جحظت عيناي بصدمة، وقع قلبي، كدتُ أكذبُ أذني، تابعت وقالت:

ـ يعني أنا آنسة لسه، مش مدام عشان تقولي يا مدام رُوح، ولسه عند وعدي ليك زمان، أنا مش هتجوز غيرك، وما حدش هيكون أب لولادي غيرك.

ما عدتُ أصدق ما تقول، تسارعت أنفاسي كثيرًا.

ـ أنتِ.. أنتِ بتقولي إيه؟ إيه اللي أنتِ بتقوليه دا؟ يعني.. يعني إزاي؟

قالت:

ـ كل كلمة كنت بقولهالك زمان كانت من قلبي، وعمري ما كدبت عليك في ولا كلمة قُلتها، حاتم الصياد زي مانت عارف من يوم ما شافني وأنا خارجة في يوم من الكلية وهو بيطاردني، كان بجح حتى لما عرف إني متجوزة وهو مصمم برده يتجوزني، وراح لبابا وبابا الله يسامحه وافق عشان فلوسه وما عملش حساب لفرق السن اللي بيننا، كنت قادرة أرفض، وقادرة أقف قدامهم وأعمل اللي أنا عايزاه، لكن عندك أنت وما قدرتش، كان بيهددني بيك، بيهددني إنه يقتلك، ووقتها برده هيتجوزني سواء بمزاجي

أو غصب عني، لكن ما كنتش بصدقه وبرده كنت بصده، لحد مانت عملت حادثة، فاكر؟ كان هو اللي مدبرهالك، بيوريني هو يقدر يعمل إيه، وقتها اتبهدلت في الحادثة ودخلت في غيبوبة، أنا كنت بموت في الفترة دي من قلقي وخوفي عليك، كان أهون عليا إنك تسيبني وأنت عايش بدل ما تسيبني وأنت ميت، كان أهون عليا تكرهني وتعيش بدل ما تموت كل يوم وأنت بتحبني، عشان كدا أخدت قراري وقُلت لازم أسيبك وأتجوز حاتم الصياد عشان يبعد عنك ويسيبك، وحصل، وأنا اللي كنت بموت بعدها كل يوم، كل دقيقة وكل لحظة، عِشت معاه تلت سنين في عذاب بس، كان بيضربني عشان كنت بصده وأبعده من إنه يقرب مني، أنا شعري كان بيطلع في إيده وهو بيضربني، كنت بسمع صوت عضمي وهو بيتكسر، أنا دراعي دا باظ من كتر ما اتكسر، وكنت دايمًا أقُلهاله في وشه، أنا يا لياسين يا بلاش، سمعت يا بشمهندس؟ أنا عملت كل دا عشانك، عشان أحميك منه، كان بيهددني كتير إنه يقتلك لأني رافضة نقرب من بعض، لكن كنت بقف قدامه وأهدده إن لو حصلك حاجة هقتله، هودّيه في داهية، هااعمل أي حاجة عشان أنتقم منه، وسبحان الله كان بيخاف، كإنه عارف إني ممكن أعمل أي حاجة عشانك، وإني فعلًا لو حصلك حاجة مش هههدا غير لما أجيبلك حقك منه، بس ربنا كان كريم، وعمل حادثة

ومات لوحده، دي كل حاجة حصلت، عشان كدا بِعدت وسيبتك، ولو رجع بيا الزمن لورا برده هعمل اللي أنا عملته وأجرحك وأسيبك.

الصدمة ألجمتني، لا أصدق أذني، كدتُ أجزم أني أحلم وأنه غير منطقي بالمرة أن يكون هذا واقِعًا، خمس سنواتٍ أتألم وأسأل نفسي كل يوم سؤالًا واحدًا، «لماذا غدرت بي؟»، ولم أكن أتوقع بالمرة أنها فعلت هذا من أجلي، كاد قلبي يُخلَع من حزني عليها وهي تتحدث عن مدى العذاب الذي عاشته في السنواتِ الماضية، زادت آلامي الآن، كنت الظالم لها في هذه القصة، تحمّلت أباها وفقري! وتحملّت أذى ذاك الرجل الذي مات ضميره وقُتل خوفه من الله، وتحمّلت قسوة الفراق وعذاب زوجها، تحمّلت كل الآلام لتفي بوعدها أنها لن تكون لغير ياسين، ذاك الذي أحبها من صميم قلبه، ذاك الذي تعذب أيضًا وتذوق كل أنواع الوجع، حتى ياسين تحمّلته في ظلمه لها.

- وليه ما قُلتليش الكلام دا؟ ليه ما قُلتليش إنه هو مدبرلي الحادثة؟
- عشان كنت هترفض تطلقني، كنت هترفض تبعد عني، وهو ما كانش هيسكت، كان برده هيئذيك.

أجبتُها من وسط أنفاسي المتسارعة:

- طب ليه ما قُلتليش بعد كدا؟
- أقولك إمتى؟ أقولك وأنا مراته؟
- ما قلتليش ليه طيب بعد ما مات؟

ـ ما كنتش هتصدقني، كنت هتفتكر إني جيالك وعايزة أرجعلك بعد ما مات جوزي عشان أنت بقيت غني دلوقتي مش فقير، وإني بعمل كدا عشان طماعة ومش مكفيني الوِرث اللي ورثته من جوزي، وأكيد كنت هتفكر إنك لو كنت لسه فقير عمري ما كنت هسأل فيك.

نعم، هي على حق، لم أكن لأصدقها، كنت سأظن كل هذه الظنون، تابعت قائلةً:

ـ وما كنتش ناوية أقولك أبدًا، غير إن كلامك دلوقتي وجعني.

أردتُ أن أقول لها أن هذا هو الوقت المناسب للاعتراف، وأن اعترافها هذا أحيا قلبي الميت من جديد، ولكن لم يسعني الوقت لأقول هذا، فجأة دوى صوت إطلاق الرصاص بالخارج وصوت سيارات الشرطة، يبدو أن عمرًا ومالِكًا أخيرًا قد توصلا إلينا، تعالت صرخات رُوح من الخوف وأنا أحاول أن أُهدئ من روعها وأطمئنها، فجأة دخل مهران إلينا ويده غارقة في الدماء، فقد أصابت رصاصة يده، وبيده الأخرى مسدس ووقف أمامي وصوّب مسدسه تجاهي وقال:

ـ مش هسيبك تِفلت يا ياسين يا زيني، مش هتفلت مني.

وأطلق رصاصة اخترقت صدري، وقعتُ على الأرض وأصبحتُ أكاد لا أرى شيئًا ولا أسمع صوتًا غير صوت رُوح وهي تصرخ باسمي، كان هذا آخر شيء أسمعه.

«وَعَانِقِ الرُّوحَ إِنَّ الرُّوحَ مُتْعَبَةٌ
وَضَمَّةٌ مِنكَ بَعدَ المَوتِ تُحييهَا
مَضَى مِنَ العُمرِ دَهرٌ لا انْقِضَاءَ لَهُ
مَتَى سَتَرحَمُ مَأسَاتِي وَتُنهِيهَا؟»

لقائلها.

فتحتُ عيني وأغلقتها، كررتها عدة مرات حتى استطعتُ أن أفتحها وأرى أين أكون، كنت مُتعبًا كثيرًا.

ـ أنا فين؟

ـ أنت في المستشفى يا حبيبي.

قالت أمي، نظرتُ إليها فوجدتها واقفة عن يميني ممسكةً بيدي وبجانبها عمرو، وعن يساري مالِك وبجانبه أميرة، ابتلعتُ ريقي بصعوبة وقلتُ:

ـ هو إيه اللي حصل؟

أجاب عمرو:

ـ مهران ضرب عليك نار والرصاصة جت جمب القلب، ودخلت في غيبوبة بقالك شهر أهو، لكن الحمد لله إنك فقت.

ـ تتشل إيده إن شاء الله.

قالت أمي، وبعد ذلك اقتربت مني وقبّلت جبيني وقالت:

ـ الحمد لله يا ضنايا إنك بقيت كويس، دا أنا ما صدقتش لما لقيت إيدك بتتحرك وبتفوق، جرينا عليك كلنا، الحمد لله يا حبيبي إنك بخير.

ـ معلش يا ماما تعبتك معايا.

ـ تعبك راحة يا نور عيني.

قال مالِك وأميرة:

ـ حمدلله على سلامتك يا ياسين.

ـ الله يسلمكوا، هي رُوح.. رُوح فين؟ حصلها حاجة؟

أجاب مالِك:

ـ لا ما حصلهاش حاجة الحمد لله هي كويسة.

أومأتُ له برأسي وحمدت الله، قلتُ:

ـ إنتوا بتقولوا بقالي قد إيه في الغيبوبة؟

ـ شهر.

أجاب مالِك، فقلتُ بفزع:

ـ الصفقة! معاد الصفقة فات، هو..

قاطعني مالِك قائلًا:

ـ ما تقلقش ما تقلقش، الشركة الألمانية وافقت تعمل معانا الصفقة خلاص.

ـ بجد؟

قلتُ بسعادة، فردّ مالِك:

ـ أيوة الحمد لله.

ـ الحمد لله.

ابتلعتُ ريقي بصعوبة مرة أخرى، وظللتُ أتذكر ما حدث في الأيام الماضية، واعترافُ رُوح الذي بقدرِ ما أسعدني بقدرِ ما أتعسني، نظرتُ إلى أميرة، رأيتُ في عينيها الحزن والندم، من الواضح أنها كانت تعلم بحقيقة رُوح وأخفتها عني مثلما فعلت هي، اشتركت في وجيعتي هي أيضًا، لستُ قادرًا على معاتبتها الآن، ولن أُعاتبها لأني أعلمُ ماذا ستقول.

ـ في حاجة حصلت جديدة الأيام اللي فاتت؟

ابتسم عمرو قائلًا:

ـ أنا خطبت.

نظرتُ إليه باندهاش قائلًا:

ـ خطبت؟! خطبت مين؟

ـ حبيبة.

ـ إزاي؟

قصّ عليّ ما حدث، كان يحكي واللمعة بادية في عينيه.

ـ ومستنينك تقوم بالسلامة عشان نعمل الخطوبة.

بابتسامة قلتُ له:

ـ ألف مبروك يا حبيبي.

ـ الله يبارك فيك.

ـ صحيح، مهران وإبراهيم حصلهم إيه؟

قال مالِك:

ـ إبراهيم اتقتل يوم ما البوليس هجم على المخزن اللي أنت كنت مخطوف فيه، ومهران اتحبس واكتشفوا إن المخزن اللي كنت فيه دا بتاعه، وكان متخزن فيه مخدرات بكميات مهولة، فاتقبض عليه ولسه هيتحاكم فيها، ووجهناله كمان قضية خطفك إنت ورُوح.

قلتُ:

ـ الحمد لله، يُمهل ولا يُهمل.

تمكن الحزن مني من جديد، لا أعلم كيف أتصرف الآن، هذه الحقيقة آلمتني كثيرًا، لم أعرف أخبارها ولم أحاول، ولا حتى هي، يبدو أننا كنا نحتاج لبعض الوقت للتفكير فيما حدث.

بعد مرور أسبوعين..

خرجتُ من المشفى وذهبتُ للمنزل، لم أتعافى كُليًّا بعد، كانت يدي اليُسرى ملفوفة برباط أبيض، وما زال صَدري يؤلمني على إثر الضربة، كنت أباشر عملي من البيت، وكان عمرو ومالِك يتابعان العمل في الشركة، حتى فوجئتُ ذات يوم بخبر غريب، خبر عن رُوح، قد تبرعت بكل ما تملك للجمعيات الخَيرية ودور الأيتام ودور المُسنين! كان خبرًا صادمًا جدًّا بالنسبة إليّ، لماذا فعلت هذا؟! _ أميرة!

كانت جالسةً بجابني على الأريكة تعبثُ بهاتفها، وعندما ناديتُها نظرت إليّ وقالت:

- نعم؟
- هي رُوح اتبرعت بكل ممتلكاتها ليه؟

رفعت كتفيها تعبيرًا عن عدم معرفتها وقالت:

- مش عارفة، هي فجأة قررت القرار دا ونفذته، ورجعت هي ومامتها لبيتها القديم.

عادت لنقطة البدء من جديد، إلى حيث جاءت، وإلى حيث التقينا.

تعافيتُ بشكل كبير وبدأتُ من جديد أذهب إلى عملي في الشركة، وأتممتُ هذه الصفقة كليًّا التي لطالما حلمتُ بها، وهأنذا قد فعلتها، وقسمتُ مكسبها نصفين، نص لي ونص لها، سلمته لأميرة وطلبتُ منها أن تذهب إلى رُوح وتعطيها حقها، وقد فعلت، وأبلغتني أنها سوف تتبرع بِه أيضًا.

اتفقنا أنا ومالِك على أن يتم زفافه على أميرتي بعد مرور شهر، أما عن خطبة عمرو فهي الأسبوع القادم في بيت حبيبة، تمنيتُ لو أراها هُناك.

بعد مرور أسبوع..

كعادتي دائمًا أذهبُ إلى كورنيش النيل، مكاني المفضل، أشكوه همّي، وما حدث اليوم، لم تأتِ إلي خِطبة أخي، كنتُ حزينًا جدًّا، طمعت عيناي في رؤيتها ولكن لم تأتِ، يبدو أن عينيها غير متعطشةً لرؤية ياسين، ذاك الذي ذُبح من فرط ما أحب.

ركبتُ سيارتي وقررتُ الذهاب إليها، لم أعُد أتحمل هذا الهجر والجفاء، ذهبتُ إلى بيتها القديم، وقفتُ أمامه وتنفستُ الصعداء، وبدأ قلبي بالخفقان، وطرقتُ الباب، لحظات وفتحت، ورأيتها! يا الله على تلك اللحظة، تُشبه الارتواء بعد الظمأ، التقت أعيننا بحبٍ من جديد، عيناها تُعاتبني بهدوء، استمر الصمتُ بيننا للحظات، حتى قالت:

ـ اتأخرت ليه؟

ابتسمتُ قائلًا:

ـ ما كنتش عارف إنك مستنياني.

ـ أمال جاي ليه؟

ـ ما قدرتش على البُعد، ما قدرتش بعد ما رميتي سهم اللُقا عليا من تاني وصابني في قلبي إني ما اجيش، تِعبت من الهجر.

ـ والمرادي بقى إيه طلباتك؟

ـ طالب القُرب.

لم تُجب، فقلتُ لها:

ـ حنّي واقبلي بقربي، دا أنا حتى قُربي أمان.

ابتسمت وقالت:

ـ من زمان.

ـ تتجوزيني يا رُوح؟

طأطأت رأسها خجلًا وابتسمت، فابتسمتُ أنا أيضًا، قد امتلكتُ العالم أجمع اليوم.

من كثرة ما رأيتُ كسر العاشقين علمتُ أن الحُب ابتلاءٌ ليس إلا،ولكن ليس له علاج، حتى الصبر لا ينفع، لا يُداوي مُر الحياة، ولا يُحيي قلبًا وافته المنية.

إن الحُب رزق، فقد قال الرسول ـصلى الله عليه وسلمـ في خديجة: «إني رزُقتُ حبها»، وليس كل البشر يُرزقون الحُب، منهم من لا يُرزق ولا يتذوق حُلو الدنيا، ومنهم من يُرزق ويتذوقُ مُر الدنيا، الحُب راوي القلوب الظمآنة، ورؤية المحبوب كغيثٍ هبط على أرضٍ جدباء، به تطيب النفس من أي عِلة، وفراق المحبوب علة في القلب لا تُشفى، وهذيانٌ يصطحبُ الرُوح طوال الأمد.

الإهداء:

إهداء إلى: أمي وأبي..

أولئك الذين زرعوا بداخلي بذور الثقة والأمل، الذين إن تعثرتُ أسندوني، وإن توقفت دفعوني مرة أخرى للأمام، أدينُ لكم بعُمري وإن كان عُمري كله قليلًا أن أقدمه لكم على ما فعلتموه.

إهداء إلى: مُعلمي الفاضل أستاذ/ محمد عبد الشكور.

لطالما وثق بي وبقلمي، وانتشلني من اليأس مراتٍ عدة بكلماته الطيبة التي أحفظها إلى الآن عن ظهر قلب، ودعائه المستمر لي ومتابعته لخطواتي ونصائحه المستمرة، شكرًا لك، أدين لكَ بالكثير، هذه الرواية أقل ما أقدمه لك.

إهداء إلى: أصدقائي، خير الرفقة، وأعظم انتصاراتي في هذه الحياة، وأعظم ما أمتلك، شكرًا لكم من أعماق قلبي على وجودكم المستمر.

إيثار

ريم

آية ‹›أم أبيها››

شيرين

نور الله

ريهام

أسماء

أمل

وفاء

دينا

فاطمة

ونهير.

إهداء خاص إلى: تلك الأرواح التي عانت من كثرة ما قاسى الفؤاد مُر الشوق ولم تنل وصلًا بعد..إلى ذاك الذي فقد لذة الدنيا وطُمست عيناه ذلًا من فرطِ ما أحب..إلى أولئك الذين ما زالت الذكريات تتجسد أمام مَرأى أعينهم حتى طُبعت على الفؤاد فأصبح لا يرى الفؤاد سِواها، لكم أنتم.

وأخيرًا، إهداء إلى: كل من شجعني ووثق بقلمي، إلى كل من ساندني ولو بكلمة، شكرًا لكم.

لوغاريتم
للنشر و التوزيع
Logarithm
Publishing & Distribution